صورة المرأة وصورة الرجل في التراث المصري
دراسة انثروبولوجية
بإحدى القرى المصرية

إعداد

د / أمل يوسف

مدرس بآداب الفيوم

د/ حسن بركات

مدرس بالمعهد العالي

للخدمة الاجتماعية ببنها

** المقدمة

لقد لعب الموروث الثقافي دوراً هاماً في تكوين النظرة النوعية – بين الجنسين– هذا فضلاً على أننا لا يمكن أن نغفل الجانب الديني أيضاً في تكوين هذه النظرة ..

وهذا الفصل يوضح الرؤية لكلا النوعين (رجل / امرأة) من خلال المنظور الثقافي والديني . على انهما من الأبعاد الهامة التي كونت الرؤية تجاه الآخر – خاصة رؤية الرجل للمرأة – وللتعرف على هذه الرؤية – رؤية الرجل للمرأة – كان لابد من تحقيق فهم متكامل لصورة كل منهما في المجتمع ، فقد حدد المجتمع للمرأة صورتها لذاتها فارتضتها بل واستدمجتها وباتت تدافع عبر الأجيال المختلفة عنها. فصور لها أن قوتها تكمن في جمالها وقدرتها على الإنجاب .

كما حدد المجتمع صورة المرأة لدى الرجل من خلال منظومة ثقافية واجتماعية بالإضافة إلى الدين الذي يلعب دوراً أساسيا في تكوين صورة المرأة.

ونعرض هنا لصورة المرأة المصرية والتي رسمها المجتمع من خلال التعرض لصورتها في كل من : الموروث الثقافي و المنظور الديني.

** مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

تتحدد مشكلة كل بحث بشكل عام فيما يثيره هذا البحث من قضايا لم يتطرق اليها الباحثون من قبل فى ظروف مماثلة سواء من حيث طبيعة موضوع البحث أو طبيعة هذه القضايا وتناولها منهجيا حيث ان تعدد المصادر الايديولوجية لنظامنا الفكرى قد أدى الى شيوع خط الازدواجية الثقافية التى

صيغت فى نوعية من الثقافة يتلقاها كل منا خلال مراحل حياته المختلفة وهما (الثقافة العامة ، الثقافة الخاصة) [1]

فقضية الحوار أو الصراع بين الثقافتين سواء على المستوى المجتمعي أو الفردي لم تحسم فى عقول ووجدان الغالبية العظمى من أبناء المجتمع المصري بل هى لم تحسم حتى فى أوساط المتعلمين أو الشريحة المثقفة فى المجتمع ، وتصل قضية نظامنا الفكرى الى دروب مظلمة منها التفريق بين الجنسين والنظر إلى المرأة نظرة دونية بالرغم من مرور اكثر من مائة عام على تحرير المرأة واكتسابها الكثير من حقوقها وتغيير تصور المجتمع عنها كأنثى أو التصورات التى رسخها فيها المجتمع عن ذاتها ، فالموروث الثقافى والقوانين غير المكتوبة والمتجسدة بالممارسات اليومية تجاه المرأة والأقوال والحكايات الشعبية عنها وأساليب التنشئة الاجتماعية جميعها لها دور كبير فى ترسيخ صورة المراة مقابل صورة الرجل من خلال غرس وتعزيز لقيم الذكورة التى تعنى (القوة والسيادة والسيطرة والسطوة) والأنوثة التي تعني (الضعف ، الخضوع ، الطاعة ، الاستسلام) لسيطرة الرجل [2]. وبالتالى فان هذه الدراسة تسعى للتعرف على صورة كلاهما للاخر (الرجل والمراة) من خلال الموروث الثقافى و المنظور الديني ومن هنا فيمكن تحديد مشكلة الدراسة فى التساؤل الاتى .

إلي أى حد يمكن التعرف على صورة الرجل وصورة المرأة في التراث الثقافى وفى النص الديني ؟

---

[1] احمد مجدي حجازي ، التنمية البشرية واستراتيجيات التعليم في مصر ، في دراسات مصرية في علم الاجتماع ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2002 ، ص2 .

(2) سامية الساعاتي : دور المرأة في المجتمع المصري الحديث ، القاهرة ، المجلة الاجتماعية القومية، مجلد 12 ، العددين 2 ، 3 ، 1975 .

وللإجابة على هذا التساؤل من خلال التساؤلات الآتية :

1-إلى أي حد لعب الموروث الثقافي دوراً في صياغة البناء العقلي تجاه المرأة والعكس ؟

2-إلى أي مدى لعبت المرجعية الدينية دورا في تكوين صورة المرأة وصورة الرجل؟

3-هل تختلف صورة الرجل والمرأة باختلاف البعد الطبقي والثقافي والاجتماعي؟

** أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية :

1- تحديد صورة الرجل وصورة المرأة في الريف المصري كما يعكسها التراث الثقافي.

2- تحديد صورة الرجل والمرأة كما يعكسه المنظور الديني في الريف المصري

3- التعرف على دور التنشئة الاجتماعية في غرس وتعزيز لقيم الذكورة والأنوثة .

** أهمية الدراسة :

تأتي أهمية الدراسة في الكشف عن دور البعد الثقافي والديني في صياغة البناء العقلي الذي يشكل علاقة الذكور بالإناث مع رسم صورة لكل منهما تجاه الاخر.

** مفاهيم الدراسة :

اعتمدت الدراسة على عدد من المفاهيم هي :

1-النوع 2-الرجولة 3-الأنوثة

1- النوع Gender

وهو ما يشير هذا المفهوم إلى التقسيمات الموازية وغير المتكافئة اجتماعياً للذكورة والأنوثة يعني الفروق بين الرجال والنساء في السلوك ، والدور ، والمكانة الراجعة إلى عوامل واعتبارات اجتماعية وثقافية ، ويختلف عن مصطلح جنس Sex الذي هو ظاهرة بيولوجية حيث يعد مفهوم النوع Gender تصنيف اجتماعي ثقافي ، يتيح لنا فرصة الفصل بين الفروق البيولوجية والثقافية بين الذكور والإناث[3] .

ويتسع مصطلح النوع ليشير ليس فقط إلى الهوية الفردية وإلى الشخصية ، ولكن ليشير على المستوي الرمزي أيضا إلى المثل والصور النمطية الثقافية للرجولة والأنوثة ، ويشير على المستوي البنائي إلى تقسيم العمل على أساس النوع في المؤسسات والتنظيمات . ويمكن القول أن الأفكار السائدة ثقافياً حول الرجولة والأنوثة هي صور نمطية ليس لها علاقة دقيقة بالواقع . كما أن هناك فروق هائلة بين الثقافات في الأفكار المتعلقة بالنوع ، وحول أدوار الرجال والنساء وظهرت دراسات حول الطريقة التي يتحول بها الأطفال الصغار ذكوراً وإناثاً إلى رجال ونساء بالغين عبر عمليات التنشئة الاجتماعية طوال مراحل تربية الطفل والتعليم والممارسات المهنية ، وأيديولوجية الأسرة والدولة وعلى المستوي البنائي ظهرت دراسات للتقسيم غير المتكافئ للعمل في العائلة (وحدة المعيشة) حيث يلعب الجنس دوراً

---

(3) شارلت سيمور سميث ، موسوعة علم الإنسان : المفاهيم والمصطلحات الانثروبولجية ترجمة مجموعة أساتذة علم الاجتماع إشراف محمد الجوهري ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998م ، ص 722

كبيراً في تحديد أنماط العمل وفرص التوظيف والترقي لما يتلقاه كل من النوعين من أنواع معينة من التعليم[4].

2- الرجولة Masculinity

تعني الخصائص المميزة والمناسبة لجنس الذكور ، والرجولة لم تصبح مجالاً للبحث الجدي إلا خلال السبعينيات ، ويرجع الفضل في ذلك إلى حد كبير للحركات النسائية ، التي ذهب مؤيدوها إلى أن مشكلة "نظام سلطة الأب" هي في الحقيقة "مشكلة رجال" وقد أجرت "ميراكوما روفسكي" دراسات رائدة حول الأدوار النوعية والرجولة ، حيث بحثت في الدلالة الوظيفية والتناقضات الثقافية للأدوار النوعية ، وقد ترتب على ذلك مع تطور حركة الرجال ، ظهرت دراسات متعددة منها دراسات الرجولة التي بدأت تظهر إلى حيز الوجود بأعداد كثيرة. وقد حاول اندروطولسون في كتابة "حدود الرجولة" المنشور عام 1976 ، أن يوضح أن الرجولة يجب أن توضع في إطار اجتماعي أوسع يشتمل علي الطبقة ، والتعليم والعمل والعمر ، فالرجولة مثلها مثل الأنوثة ، أبعد ما تكون عن أن تكون نتاجاً ثقافياً موحداً ، بل إنها تتخذ أبعاداً متعددة ، وقد احتلت ضرورة النظر إلى الرجولة ليس كصفة جوهرية ، بل كنتاج لقوي ثقافية وتاريخية مكانة ذات أهمية متعاظمة، وبحلول عقد الثمانينا ت أصبحت دراسات الرجولة فرعاً بحثياً تخصيصياً راسخاً متخماً بشقاقاتة الداخلية والحوارات النظرية والتأكيدات المتباينة والسياسات المختلفة[5]

3-الأنوثة Feminity :

---

(4) جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، المجلد الأول ، الثاني ، الثالث ، ط1 ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000م. ص 1555

(5) المرجع السابق ، ص 774 .

مفهوم عام يقابل مفهوم الذكورة ، ليدل على الأساليب المميزة لسلوك ومشاعر المرأة . وتختلف الخصائص التي تدل على الأنوثة ، وان كان يشار عادة إلى السلبية ، والتبعية والضعف على أنها خصائص تميز الأنوثة[6].

فالأنوثة تعني الضعف والخضوع والطاعة والاستسلام لسيطرة الرجل والذكورة تعني القوة والسطوة والسيطرة والسيادة ، أنماط التنشئة الاجتماعية نفسها تؤكد أنوثة المرأة منذ طفولتها وتعطيها أدواراً اجتماعية ، فهي تعمل من أجل الرجل ، وتخدم من أجل الرجل وتملك من أجل الرجل ، وتفضل إذا كان لها "رجالة" بارزون أي أنها تدور دائماً في فلك "رجولي"[7].

ويؤكد الإحساس بالنقص تجاه الرجل في مجالات تحمل المسئولية مما يؤثر على مقدرتها على المشاركة في الحياة الاقتصادية والحياة العامة خارج الأسرة. وهكذا فبالرغم من الحقوق المتساوية في الحياة العامة فان المرأة لا تستطيع التمتع بها نظراً للقيود المفروضة على حقوقها داخل الأسرة وهو المجتمع الخاص وسيطرة الرجل على المجتمع العام ، كما أنهم يمتلكون "السلطة" على كل من حيز المجتمع العام والخاص باعتبارنا مجتمع أبوي ذكوري يستحضر القوانين غير المكتوبة من عادات وتقاليد وأعراف لحفظ كيانه وشرعيته ، وذلك من خلال ترسيخ علاقات الهيمنة والتبعية ، ليضمنوا استمرارية امتلاكهم له والسيطرة على المرأة وضبطها ، ومن ثم تهميشها اجتماعياً وسياسياً باستعمال القوانين الصارمة التي تتحكم في تصرفاتها ومشاعرها ومصيرها بالشكل الذي يتلائم ومصالح السلطة الأبوية[8].

---

(6) المرجع السابق ، ص 248 .

(7) سامية الساعاتي ، مرجع سابق ، ص 94 .

(8)المرجع السابق ، ص 59

وعلى الرغم أن الفارق الطبيعي بين الرجل والمرأة هو فارق في الجنس وفيه قيمة جمالية (رجولة / أنوثة) وقيمة نوعية (من أجل دوام النوع البشري) وهذا الفارق ليس فيه أية قيمة من قيم التفاوت الحقوقي والسياسي والأخلاقي ، ولولا هذا الفارق لما كان الاجتماع الإنساني ممكناً ، إن الفارق الطبيعي لا يبرر ما آلت إليه المؤسسات والأعراف ماضياً وحاضراً ومستقبلاً من أوضاع عدم المساواة بين الجنسين والأمثلة على ذلك كثيرة، فالرجل المصري يعامل المرأة معاملة تبدو سيئة في ضوء مستويات المعاملة الإنسانية الرشيدة ، وفي الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من أجلها عشقاً وهياما – وأيضا يحترمها ويقبل أيديها ، ويظهر ذلك فعلاً وعملاً ، ولعل المعاملة السيئة للمرأة المصرية وتدليلها وعشقها أن تكون أموراً غير متناقضة ، فالمرأة المصرية خاصة في الريف لا تزال في نظر الرجل حتى الآن متاعاً ، ولعلها أن تكون متاعه الوحيد المتاح وهي إذا كانت راضية لهذا الوضع ، فهي تفعل ذلك في ضوء العلاقات الاجتماعية وفي ضوء بعض العناصر الثقافية غير المادية ، فالبعض ينظر للمرأة من خلال العوامل التكوينية لها أنها الأضعف والرجل هو الأقوى ولكن هناك عوامل اجتماعية وثقافية ونفسية وعقلية تكمل هذه الصورة الحقيقية لهذه الشخصية سواء الرجل أو المرأة[9].

الإجراءات المنهجية للدراسة

مناهج الدراسة وطرق جمع البيانات :

---

(9) سيد عويس ، المفهوم العام للمرأة المصرية المعاصرة ، القاهرة ، المجلة الاجتماعية القومية ، مجلد 12 ، العددين 2 ، 3 1970 .

لجأت الدراسة إلى الاستعانة بعدة مناهج وفقاً لطبيعة موضوع الدراسة مكنتها من فهم الظاهرة موضوع البحث فهماً متعمقاً ، حيث ساعدت في فهم رؤية الرجل للمرأة وعلاقتها بأبعاد تكوين هذه الرؤية ومكونات صورة المرأة داخل المجتمع.

وقد أدى ذلك إلى استخدام المنهج الأنثروبولوجي ، ومنهج دراسة المجتمع المحلى ، ومنهج دراسة الحالة .

ولعل محاولة الجمع بين المناهج السابقة إلى جانب المدخل المعرفي الذي يعمل على فهم الظاهرة وتحليلها يؤدي إلى إثراء الوسائل المنهجية المستخدمة بحيث تقود الدراسة إلى نتائج أكثر دقة وأحكاماً مما قد يؤدي إلى الكشف عن الأبعاد الحقيقية لرؤية الرجل للمرأة حيث يعتبر المنهج العلمي هو العمود الفقري لأي عمل علمي حيث يتأسس المنهج على حوار جدلي بين الاستنباط العقلي والاستقراء الواقعي في دائرة متصلة الحلقات ، تبدأ بتحديد مشكلة البحث ، وتساؤلاته ، ومفهوماته الأساسية ثم تنتقل إلى التحديدات الإجرائية وأدوات جمع البيانات والمجال البشري والجغرافي التي يغطيها البحث ، وتنتهي بصور التحليل والتفسير التي تعود مرة أخرى إلى المشكلة في محاولة لربط النتائج التي كشف عنها التحقق الأمبيريقي بالمشكلة ، والمنطلقات النظرية للبحث. باعتبار أن المنهج هو الذي يقود خطواتنا خلال عملية الربط بين ما نحصل عليه من بيانات عن الواقع ، وبين النظرية التي تعبر عن طريقتنا في فهم هذا الواقع ، ونقدم في هذا الفصل قصة المنهج في هذه الرسالة وفقاً لهذا التصور[10].

---

(10) محمد الجوهري وآخرون ، دراسات اجتماعية معاصرة ، القاهرة ، مطبعة العمرانية ، 2006 ، ص8 .

حيث اعتمدت عليه الدراسة منذ اللحظات الأولى المنهج الأنثروبولوجي لبدء العمل الميداني حيث ساعدها في اختيار مجتمع البحث ، كما ساعدها أيضاً على توجيه مسار جمع المادة الميدانية من خلال اختيار الحالات التي كانت محوراً للدراسة وذلك عن طريق الإقامة والمعايشة والملاحظة ، بغرض الحصول على المادة المتعلقة بالأبعاد الاجتماعية والثقافية لرؤية الرجل للمرأة ، حتى يمكن فهم المبادئ والأسس التي ترتكز عليها الثقافة نحو تكوين فكرة النوع وبالتالي فهم طبيعة معارف ومدركات أبناء المجتمع ومدى تعبيرها عن هذه المبادئ . فالأمر يتطلب فهم جميع جوانب ثقافة المجتمع والسلوكيات التي تعبر عن هذه الثقافة بالإضافة إلى فهم المعاني التي تكمن خلف هذه السلوكيات والتي تعكس الرؤية تجاه المرأة من خلال الصورة التي رسمها لها الموروث الثقافي.

-أسس اختيار الحالات المدروسة :- روعي عند اختيار الحالات المدروسة ضرورة تجسيد الأبعاد التالية :

-البعد الطبقي : الطبقة من الأبعاد المهمة في الاختيار ، ولذلك تعكس الحالات التباين الطبقي ، فتنوعت لتشمل الشرائح الطبقية الثلاث الرئيسية (عليا – وسطي – دنيا)وذلك حتى يمكن الوصول إلى اختلاف الرؤية تجاه المرأة باختلاف البعد الطبقي .

ومن الجدير بالذكر أن التقسيم الطبقي لهذه الحالات ، قد تم بناء على عدة محكات بعضها محكات مادية وأخري معنوية ، وبالنسبة للمحكات المادية تنحصر في (الملكية – – المهنة – التعليم) أما المحكات المعنوية فتقوم على – الأصل – وأراء أفراد مجتمع البحث حول تقسيمهم للطبقات وقد انبثقت هذه المحكات من خلال التقسيم الذي تناولته الدراسات السابقة إلى

جانب أثر التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع المصري بصفة عامة ومجتمع القرية بصفة خاصة.

-البعد الجيلي : يلقي العمر ضوءاً على أبعاد وملامح الرؤية في المجتمع ، حيث تختلف وجهة النظر بالنسبة للكبار عن الصغار بالنسبة للمرأة ، عما ينم عن مدى التغير الذي لحق بالمجتمع أو التمسك بالموروث الثقافي.

-البعد التعليمي : روعي في الاختيار أن تمثل الحالات المستويات التعليمية الموجودة في المجتمع قدر الإمكان ، بهدف التعرف على اختلاف الرؤى بين كافة الفئات التعليمية ، وأثر التعليم على المعرفة والوعي بصورة المرأة.

-البعد المهني : راعت الدراسة أن تكون الحالات ذات اختلاف مهني واضح سواء بالنسبة للأسرة المعيشية أو بالنسبة للأفراد ، بحيث تكون هذه الأسر متنوعة مهنياً وفقاً والمستوي التعليمي لها وتمثل المهن السائدة في مجتمع البحث (زراعية – تجارية – صناعية – تقليدية حديثة) مما قد يعكس لنا أثر البعد المهني في تكوين رؤية تجاه المرأة.

-نوع الأسرة : روعي في اختيار الحالات أن يمثل نوع الأسرة محك أساسي في الاختيار سواء نووية – أو ممتدة لمعرفة أوجه التباين في رؤية الرجل للمرأة وفقاً لنوع الأسرة المعيشية .

ويمكن التنويه أن الدراسة ركزت على اختيار الزوجين والتركيز على رؤية الرجل للمرأة (الزوجة) نظراً لان المرأة الزوجة تتجسد فيها كل مكونات وعناصر الرؤية ، كما أن وضع الزوجة في علاقتها بالزوج يبرز النظرة الواقعية تجاه المرأة ، مع عدم إغفال دور العلاقات القرابية مثل علاقات الأمومة ونظرته لأمه أو أخته أو الابنة حيث أوضحت نتائج الدراسات السابقة أن كل مؤشرات الرؤية تجاه المرأة وكل مظاهر العنف والقهر تتجسد في وضعها كزوجة ، وقد تستشهد الدراسة برؤيته للأم أو الأخت والأبنة حتى

يظهر موقفه من المرأة والتي تتسم بالأزواجيه في الرؤية وعلى سبيل المثال موقف الرجل من قضية ميراث المرأة في الغالب يكيل بمكيالين فأنه يرفض إعطاء الأخت حقها من الميراث الأمر الذي قد يؤدي إلى القطيعة عند مطالبتها بهذا الحق. وعلى العكس من ذلك يستأمد ويقف بقوة يناصر زوجته في حصولها على حقها في الميراث الأمر الذي قد يؤدي إلى الطلاق في حالة عدم استجابتها لمطالبة وهو بذلك وفي كلتا الحالتين يبحث دائماً عن المنفعة الشخصية التي تعكس رؤيته لذاته ومصلحته الذكورية .

-**الملاحظة : Observation** تعد الملاحظة من أهم وسائل جمع البيانات في بحث أي ظاهرة. فهناك بعض التفاعلات الاجتماعية لا يمكن فهماً جيداً إلا من خلال مشاهدتها مشاهدة حقيقية ورؤيتها رؤية العيان[11].

واعتمدت الدراسة على الملاحظة والملاحظة بالمشاركة استخدمت حيث يستخدمه كل نوع من أنواعها طبقاً للموقف أو الحدث الذي يتواجد فيه الباحث فقد أفادت الدراسة في الحصول على جانب من البيانات كان من الصعب جمعها من خلال المقابلة ، وقد تمت الإشارة في البحث إلى ما لاحظه الباحث من التضارب بين الأقوال اللفظية التي يدلي بها المبحوثين أو الاخباريون أحياناً ، والشواهد الواقعية التي تلاحظها الباحثة في الميدان حقيقة وفعلاً ، فالقول شيء والفعل شيء آخر . فقد لاحظت الباحثة التمييز بين الذكر والأنثى في كثير من المواقف في حين يؤكد الأفراد على عدم التفرقة بينهم .

فلم يقتصر استخدام الملاحظة على تلك التي تدور حول الظاهرة المدروسة فحسب بل امتدت لتشمل الملاحظة العامة على مجتمع البحث سواء في

---

(11) محمد الجوهري ، عبد الله الخريجي ، طرق البحث الاجتماعي ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1990 ، ص 78 .

العلاقات العامة بين أفراده أو العلاقات الخاصة داخل الأسرة الواحدة لرصد مواقف اجتماعية واقعية تعكس لنا رؤية الرجل للمرأة.

ولقد ساعدت هذه الملاحظات على تفهم الكثير من جوانب الحياة في القرية مما أسهم في تفسير الكثير من أنماط السلوك الذي قد يختلف في مدلوله عن بعض أقوال الناس .

**** الملاحظة بالمشاركة : Participant Observation**

ولقد أقتضى موضوع البحث وإقامة الباحثان في مجتمع الدراسة ، إلى الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة حيث أتاحت لها التواجد في العديد من المناسبات والمواقف التي رصدت من خلالها الرؤية تجاه المرأة كما لاحظت الباحثة بعض المواقف أثناء حدوثها في الحياة اليومية نتيجة للمعايشة في مجتمع البحث حيث سجلت كثير من المواقف التلقائية والتي توضح صورة المرأة وطريقة تعامل الرجل معها. فهذه الطريقة (الملاحظة) تجعل من الممكن تسجيل السلوك من حقائق ووقائع أثناء حدوثه ، على خلاف الوسائل الأخرى التي تعتمد على استعادة أحداث ماضية أو التوقع لما سيحدث[12]

ولقد ساعدت التدوين المنتظم لهذه الملاحظات التلقائية في تحليل الكثير من الجوانب المكونة لرؤية كلا من الجنسين للآخر ، وموقف كل من الرجل والمرأة لهذه الرؤية ومدى الحفاظ عليها وغرسها من خلال أساليب التنشئة في المجتمع .

المقابلة : Interview

---

(12) فاروق إسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1984 ، ص 53 .

أجريت المقابلة على مستوين أحدهما أولي : شمل المقابلات التي تمت بهدف جمع بيانات أولية عن مجتمع البحث سواء كانت فردية أو اجتماعية فهي بمثابة مدخل يسمح بجمع المادة المتعمقة ، والمستوي الثاني تم فيه إجراء المقابلات المركزة وتم فيه جمع المادة الميدانية المطلوبة حول موضوع الدراسة ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

أ-المقابلات الأولية :-

كان لإقامة الباحثة في مجتمع البحث فضل في إجراء دراستها ولذا فقد بدأت المقابلات الأولية مع عدد من الأسر والأفراد المحيطين ، ولقد شملت هذه المقابلات الكثير من الموضوعات العامة التي تجري حول قضايا المرأة والتمييز بين الذكور والإناث وحقوق المرأة وما يثار في وسائل الإعلام من موضوعات خاصة بالمرأة لأنها كانت فترة لاقت اهتمام شديد من الإعلام بقضايا المرأة وحقوقها وهي بداية القرية الحادي والعشرين ومرور مائة عام على تحرير المرأة المصرية.

وتشير الباحثة إلى أن موعد وزمن هذه المقابلات كان مفتوحاً حسبما تمليه الظروف حيث تم إجراء بعض المقابلات الجماعية مع مجموعة من الرجال لاستطلاع رأيهم حول رؤيتهم للمرأة ، وأهم الأبعاد المكونة لهذه الرؤية في المجتمع عامه ، دون التقييد بوجهة النظر الفردية وحدها وقد تمت هذه المقابلات دون الترتيب لها مسبقاً نتيجة إقامة الباحثة في مجتمع الدراسة وخبرتها الطويلة بأفراده حيث كانت تستفيد من فرصة أي تجمع وتناقش معهم موضوع البحث على أنها مناقشة عادية لا تخضع للبحث والتحليل. وكانت هذه المقابلات الجماعية تخرج عن النطاق التقليدي لإجراء المقابلة حيث تتميز بالحرية في السلوك والحوار ، مما ساعد في الحصول على كثير من المعلومات الواقعية والتي تعبر عن الموقف العام للمجتمع نحو رؤيته

للمرأة. وإن كان من عيوبها أنها تحاول أو تظهر أصحابها بالمثالية أمام الآخرين ، ولكن نتيجة انتماء الباحثة لنفس أفراد المجتمع وأنها ستتأكد وتصل للمعلومة الصحيحة نتيجة المعايشة الطويلة للواقع والتأكد من عدم تحيز أو تبني الإخباريين للأنماط المثالية للسلوك مما يجعل الأفراد يتحدثون بصدق وأن كان فيه نوع من الحرج للآخرين.

-وتسجل الباحثة أغرب موقف حدث أثناء أحد المقابلات الجماعية وهو حديث أحد الأزواج عن حقوق المرأة وذمتها المالية ومساواتها بالرجل والنظرة المثالية لها وبالمصادفة كانت الزوجة تحضر المقابلة ، وبعد انتهاء اللقاء اتصلت الزوجة ونفت كل ما قاله الزوج وأشارت إلى عكس ما يقوله من قول أمام الآخرين وأنه يفعل عكس ذلك تماماً.

ويمكن القول أن الباحثان قاما بإجراء مقابلات كثيرة مع عدد من أفراد المجتمع (الإخباريين) في بداية الميداني ومن خلال هذه المقابلات ، اختارت بعض الأفراد الذي تجري عليهم الدراسة المتعمقة كحالات لدراسة مع مراعاة الأسس التي وضعت لاختيار الحالات وهي (الطبقة – التعليم – المهنة – السن – نوع الأسرة) بحيث تمثل المجتمع تمثيلاً واقعياً وصحيحاً بقدر الإمكان.

ب-المقابلات الموجهة والمتعمقة : وهي تلك المقابلات التي تمت مع الحالات أو الأسر المختارة للدراسة والتي تم تطبيق دليل العمل الميداني ، ولقد شملت هذه المقابلات أفراد الأسر جميعاً ، الرجال والنساء والأطفال ، هذا ولقد تمت مقابلة هذه الحالات عدة مرات حسب طبيعة الموضوعات ووقت الأسرة المتاح للمناقشة مع الباحثين ، وقد راعت الباحثة أن يكون هناك نوع من التساوي قدر الإمكان في زمن وعدد المقابلات بين الأسر موضوع الدراسة وتشير الباحثة إلى أن المقابلات مع هذه الأسر استغرق فترة

طويلة حتى كتابة التقرير النهائي لهذه الدراسة ، حيث كانت تتردد على بعض الحالات لاستكمال بعض النقاط التي لم تستوخي أثناء الجمع الميداني ، هذا بالإضافة للمقابلات التي كانت تجرى مع عدد من الإخباريين (أفراد) وهي الحالات الفردية لتطبيق دليل العمل معهم أو استكمال بعض الموضوعات الخاصة من المدرسين – و رجال الدين – والمحامين – وكبار السن من الرجال والنساء .....الخ.

** **أسس اختيار مجتمع الدراسة** : تم اختيار "قرية الخور" مركز أشمون محافظة المنوفية كمجتمع محلي لإجراء الدراسة الميدانية وذلك لتوفر عدد من المحددات التي تتفق مع أهداف البحث وهي :

1–تتطلب الدراسة الأنثروبولوجية وخاصة بحوث رؤى العالم تتطلب الإقامة الطويلة في مجتمع البحث من أجل الفهم لأنماط التفكير ، فقد تم اختيار هذه القرية لإقامة الباحثة فيها فترات طويلة حتى يتسنى الوصول لنتائج مفيدة .

2–هذا بالإضافة لوجود علاقات قوية وطيبة مع أفراد المجتمع تساعد على فهم أنماط السلوك والغوص في أعماق الثقافة المدروسة.

3–وجود تيسيرات إدارية واجتماعية تساعد في الحصول على البيانات الكيفية والإحصائية الخاصة بالدراسة والتي تسهل إنجاز العمل الميداني .

4–تتسم القرية بقدر من التنوع في الأنشطة الاقتصادية والتعليمية والمهنية والمستويات الطبقية والعمرية ، وما يترتب على ذلك من تنوع في الآراء حول رؤية الرجل للمرأة.

5–التجانس النسبي بين سكان القرية ، لأنهم يرتبطون بالزراعة سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، وثقافياً : لأنهم جميعاً يرتبطون في ثقافتهم بطبيعة الاقتصاد السائد وهو الزراعة ، وتعليماً : لأنهم متقاربون – برغم بعض الاستثناءات – ومصادر ثقافتهم مشتركة وما تشتمل عليه من قيم وأعراف

وتقاليد في الحياة فهذا المجتمع تقارب فيما بين سكانه والتشابه بينهم كبير إلى حد بعيد فالقرية مجتمع صغير من حيث العدد والمساحة ولذا فإن رؤية عدد صغير من الأشخاص تعتبر كافية للتعرف على رؤى العالم للمجتمع ككل.

6-تعد علاقات الإنتاج في القرية ، وهي بالضرورة علاقات الملكية أو الحيازة والعمل أو هما معاً ، خطاً أساسياً لتقسيم الناس وفقاً للهيكل الاجتماعي الطبقي السائد فالناس يصنفون طبقياً في ضوء ما يملكون أو في ضوء أنماط وعلاقات العمل التي يدخلون فيها ، وبالتالي نستطيع تقسيم حالات الدراسة إلى مستويات طبقية يمكن من خلالها تصنيف المادة وفقاً للبعد الطبقي لإظهار الفروق الطبقية والاجتماعية . وإن كانت المسافة تضيق بين قمة الهرم الطبقي وقاعدته.

7-خبرة الباحثين بدراسة ثقافة المجتمع وأهم قضايا المرأة من خلال اشتراكها في بحث قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع تحت إشراف أ.د علياء شكري ، وأيضاً اشتراكها في بحث النسق القيمي الإنتاج والاستهلاك إشراف أ.د أنعام عبد الجواد مما أتاح الفرصة للغوص في أعماق الثقافة والوصول إلى ميكانيزمات رؤية الرجل للمرأة من خلال الأبعاد المكونة لهذه الرؤية والمواقف التي تتجسد فيها.

** **مجتمع البحث** : قرية الخور – مركز أشمون – محافظة المنوفية

مقدمة : تعني دراسة المجتمع المحلي "محاولة فهم ووصف جماعة من الأفراد تعيش في موقع جغرافي معين ، وتشترك في

نظم اجتماعية معينة ، وتشعر أن كل المؤسسات المحلية مؤسسات خاصة بهم فقط"[13]

وسوف نعرض للمجتمع المحلي من منظور رؤى العالم ، باعتبار أن تصور "رؤية العالم" تأثر بالتقسيم العام الذي وضعه ردفيلد بين ما يعرف باسم التراث الصغير little tradition المميز لعامة الشعب أو الفلاحين وبين التراث الكبير Great tradition الذي يقتصر على الطبقة المثقفة أو المفكرة .

فإذا كان المجتمع هو الجماعة التي ينتمي إليها مجموعة من الأفراد ، يتطابقون معه ويتأثرون به في تفكيرهم وأنماط سلوكهم ورؤيتهم للأشياء "أو الآخر" فالصورة المرجعية إذن هي الصورة الفكرية والوجدانية والأخلاقية التي يتأثر بها ويتوحد معها افراد ينتمون إلى جماعة معينة والتي تختلف عن الصورة النمطية التي لديهم عن الآخر ، فالصورة المرجعية تشترط وجود علاقات اجتماعية فعلية ومباشرة (داخل الجماعة) ، وتراث ثقافي واجتماعي مشترك يوجه الأفراد ، بينما الصورة النمطية عن الآخر تفتقد ذلك الشرط ، ويترتب على ذلك نتيجة هامة وهي . أن الصورة النمطية عن الآخر تكون قابلة للتغيير إذا ما توافر شرط الاتصال الثقافي أو العلاقات الاجتماعية المباشرة بين حامل الصورة النمطية وبين الآخر.

ومن الخصائص الجوهرية للصورة المرجعية هي أنها تجمع بين الجوانب الحسية والفكرية أو المعنوية والوجدانية والأخلاقية والاجتماعية في واحدة ، فالصورة بهذه الخصائص تصبح ذات قوة كبيرة لا تضاهي في تصوير وفهم العالم أو الآخر بصورة مباشرة وآنية . وعن طريق استخدام العناصر الحسية المشخصة تعكس الصورة اكثر المعاني تجريداً وتعقيداً في

---

(13) محمد الجوهري ، عبد الله الخريجي ، مرجع سابق ، ص 130 .

شكل ميسر وقابل للادراك والفهم السريع من قبل الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافة واحدة أو جماعة مرجعية واحدة ، وهذه الخاصية تضفي على الصورة الطابع الاجتماعي المشترك لتصبح صورة عامة تختلف عن الصورة الذاتية أو الشخصية لفرد بعينة[14]

ويذكر "كيرني" أن الذات تتكون من مظهرين أو جانبين يتمثل الجانب أو المظهر الأول في إدراك الذات على أنها متميزة عن البيئة المحيطة بها ، أما الثاني فيتمثل في مفهوم العلاقة بين الذات وبين ما يحيط بها ، فمن الصعب تصور رؤية العالم دون أن يؤخذ في الاعتبار العلاقة بين هذه الرؤية وبين هذه البيئة والتفاعل المتبادل بينهما ويوضح كيرني أن اختلاف رؤى العالم قد يرجع إلى اختلاف الأسباب الخارجية التي تشير إلى الظروف البيئية غير المعرفية التي تؤثر في محتوي وشكل الفكري بالإضافة إلى الأسباب الداخلية التي تعبر عن الجوانب السيكولوجية ، ويندرج تحت الأسباب الخارجية القوي الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تصطدم بالمجتمع المحلي من خارجة[15]

إذا انتهينا من كل ما سبق إلى القول بأن الشخصية تعتبر نتاجاً اجتماعياً فلن تكون هذه النتيجة في حد ذاتها كافية ، وإنما ينبغي البرهنية على هذه القضية فيؤكد معظم الباحثين على عملية الاستدماج ، وبرغم أن الفرد يمتثل لمعايير مجتمعية ، فإن ذلك يمكن أن ينهض دليلاً على أن شخصيته تعتبر بمثابة نتاج اجتماعي إذا يمكن أن يكون الامتثال الخالص محصلة للضغط الخارجي

---

(14) السيد الأسود ، صورة الأخر بين الثبات والتغير ، دراسة انثروبولوجية مقارنة لمجتمعين عربيين ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد 24 ، مجلد 1 ، 1996 ، ص 218 .

(15) محمد أحمد غنيم ، الاتجاهات النظرية ولمنهجيه الحديثة في الانثربولوجيا الحضرية في مجالات علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، المنصورة ، جامعة المنصورة ، 2000 ، ص196.

والضبط النظامي أو الذي تمارسه النظم الاجتماعية. ولذلك جاء هذا الفصل ليقدم صورة واضحة عن مجتمع الدراسة لذلك تم اختيار مجتمع الدراسة وهو قرية صغيرة في مركز أشمون –محافظة المنوفية للتعرف على رؤية الرجل تجاه المرأة ، وهو مجتمع له ملامح وسمات محددة وثقافته تقليدية ومتجانسة إلى حد ما ، فقلما تتفاوت تصورات اعضائة أو تتباين عن الآخر أو عن العلاقة بين الناس والعالم الذي يحيط بهم ، ولذا فان رؤية عدد من الأشخاص تعتبر كافية للتعرف على رؤى العالم للمجتمع بأكمله حتى يمكن تعميم النتائج في حدود المجتمع .

ويتم ذلك من خلال نشأة تاريخية وجغرافية والتقسيم الإداري والطابع الايكولوجي وخصائص السكان الاجتماعية والاقتصادية وومورفولوجية المسكن والنسق القرابي والخدمات المتوفرة ووضع المرأة في مجتمع الدراسة.

المنوفية نبذة تاريخية : استمدت المنوفية اسمها من كلمة "نفر" ومعناها الأرض الطيبة. وقد أطلقت في أول الأمر على أول منطقة خصبة استوطنها الإنسان القديم وهي "منوف" التي ظلت حاضرة لهذا الإقليم زمناً طويلاً.

كما أصبحت كلمة " منوفر" هذه فيما بعد كنية لعظماء الرجال ، قنعت بها ملاك الأراضي في العصر الفرعوني ، وكان من بينهم رجال الدين وقادة الجيش والحكام ، وأصبح معناها المزارع أو الإنسان الطيب.

والوثائق التاريخية التي تؤيد هذه التسمية كثيرة ، منها ما جاء ببردية "فلبور" الخاصة بمساحة الأرض وفرض الضرائب عليها إذ قيل أنه يطلق على الفرد الذي يزرع الحقول لقب "متنفر" بمعني طيب باللغة المصرية القديمة . وقد استهوت هذه التسمية كثير من العظماء فنسبوا هذا اللقب إلى أنفسهم ومن ذلك ، أطلق الكاهن "حور " على نفسه لقب "متنفر" مزارع وكذلك الجندي

"خنسو" فقد ذكر بهذا اللقب لا بلقبه الحربي . ويقول عالم الاثار الدكتور "سليم حسن" في كتابة "مصر القديمة" في باب المزارعون المحترفون وقد كان بطبيعة الحال عدد عظيم من ملاك الأرض مزارعين محترفون . وقد ذكر في ورقة "فلبور" ما لا يقل عن مائة وتسعة من الأسماء أطلق عليهم لقب مزارع "متنفر"[16].

وهكذا استمدت المنوفية اسمها من أشرف الصفات والنعوت وهي الأرض والمزارع. وقد تحرفت الكلمة في العهد القطبي من "متنوفر" إلى "منتوفي" حسب منطوق اللغة القبطية وما لبثت أن تحرفت هذه التسمية إلى "منوفي" بعد الفتح العربي وظلت هذه التسمية إلى اليوم.

قرية الخور : هي إحدى القري القديمة وردت في التحفة من الأعمال الجيزية ، لأنها كانت تابعة لها في ذلك الوقت بسبب وقوعها هي والبرانية وطليا في جزيرة كان النيل يفصل بينهما وبين إقليم المنوفية ، كما اتصلت هذه الجزيرة بأرض المنوفية في القرن العاشر الهجري أصبحت ناحية الخور هذه من نواحيها[17].

ويرى الأهالي من خلال التاريخ الشفاهي للقرية أن كلمة "الخور" تعني : المنخفض الذي يوجد به المياه ، حيث كانت الخور تقع في منطقة منخفضة بالنسبة للأراضي المحيطة بها. وفي أشهر الصيف – ومع ارتفاع منسوب المياه الجوفية – تُصبح بركة من المياه تخوض الناس فيها من أجل المرور من الشرق قرية "بوهه شطانوف" إلى الغرب لقرية "طليا" وسميت

---

(16) محمد رمزي ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، 1968 ، ص 155 .

(17) المرجع السابق ، ص 157 .

المنطقة "بالخوض" ثم حورت إلى "الخور" – وكان البعض يُطلق عليها – الغور – أرض المخاضة أي المنطقة التي يخوض فيها الناس للمرور من الشرق إلى الغرب ، وتعني المخاضة . (الأرض الرطبة المبللة بالماء والتي تؤثر على حركة المرور فيها بسهولة وأحياناً كان الأهالي يخلعون نغالهم أثناء الخوض في القرية للعبور منها) .

"جغرافية القرية "

قرية الخور هي إحدى قرى مركز أشمون – محافظة المنوفية ، وهي إحدى القري التابعة للوحدة المحلية بقرية "طليا" ، كما أنها – الخور – تقع في القطاع الشرقي للمحافظة ، وتبعد عن مدينة أشمون بحوالي خمسة عشر كيلوا متراً في اتجاه الغرب.

والقرية تبعد عن محافظة القاهرة حوالي خمسة وأربعين كيلو متراً في اتجاه الشمال الغربي ويحيط بالقرية العديد من القري منها قرية بوهة شطانوف وتقع في الجهة الشرقية من قرية "الخور" وتبعد عنها مسافة لا تزيد عن الكيلومتر الواحد . ويربط بين القريتين طريق مرصوف حديثاً يسمح بمرور سيارتين في اتجاهين متضادين . ويمر هذا الطريق وسط المناطق الزراعية. ويمتد إلى مدخل القرية الشرقي ومنه إلى الشارع الرئيسي بالقرية "شارع داير الناحية" مخترقاً إياه من الشرق إلى الغرب ويمتد لكي يربط قرية الخور بقرية طليا "الأم" على مسافة تبلغ حوالي ثلاثة كيلومترات. وهذا الطريق غير مرصوف لا يتسع في كثير من أجزائه إلا لمرور سيارة واحدة. ويعتبر هذا الطريق مملوك لبعض الأهالي في كثير من أجزاءه ولذلك فهناك صعوبة في عملية الرصف إلا إذا تنازل الأهالي عن أحقيتهم في هذا الطريق وأصبح مملوكاً للدولة.

كما تعتبر قرية "كفر منصور" من القري التي تحيط بقرية الخور حيث أنها – قرية كفر منصور تقع في الجنوب الشرقي من قرية "الخور" وترتبط بها بطريق ترابي يمتد لمسافة تصل إلى خمسة كيلومترات مروراً بطريق قرية "كفرعون" وهي أيضا مجاورة لقرية الخور على مسافة حوالي 2 كم. ويلتقي هذا الطريق "الخور – كفر منصور" بالطريق الاسفلتي "أبو يوسف – طليا" والذي يمتد إلى أن يصل إلى مدينة أشمون من ناحية الغرب ... ويتقاطع طريق "طليا أبو يوسف " مع طريق "أشمون القناطر الخيرية" عند نقطة مرور أبو يوسف وهو طريق "الباجور – القناطر الخيرية" .

– تتبع قرية الخور ثلاثة* توابع إدارية هي : عزبة الغيطي وعزبة صالح بك وتقعان في اتجاه الشمال الغربي للقرية ، وتبعدان عن القرية بحوالي اثنين من الكيلومترات ، أما التابع الثالث وهي "عزبة السلايمه" وتقع هذه العزبة في جهة الجنوب الشرقي لقرية الخور على مسافة حوالي اثنين كيلو مترات ، وتتكون الكتلة السكنية الرئيسية لقرية "الخور" من تجمعات سكنية كانت معظمها من الطوب اللبن لوقت قريب ولكنها حالياً تغيرت إلى مساكن ذات نمط حديث . حيث المباني المرتفعة متعددة الطوابق والتي تصل إلى الخمسة طوابق ، ولم يعد بالقرية إلا القليل الذي لا يتعدى أصابع اليدين مازال بالطوب اللبن ، وكانت تتركز الكتلة السكنية في الناحيتين الغربية والشرقية ولكن مع مرور الوقت والزيادة السكانية وتحسن الظروف الاقتصادية للبعض من الأهالي – أي في بداية الثمانينيات ومع امتداد الزحف العمراني ناحية الشرق تكونت كتلة سكنية يطلق عليها "منشية السلام".

---

* تم الحصول على هذه البيانات من الوحدة المحلية بأشمون .

وهذه المنطقة ليس بينها وبين حدود القرية القديمة أية فواصل طبيعية أو حدود فاصلة ولكنها امتداد عمراني طبيعي داخل الحزام الأخضر ،وهذه المنطقة الجديدة "منشية السلام" أقيمت على أرض من أملاك "عائلة عبد الله" ، وهي من أقدم العائلات بالقرية بالقريه ويمر ثلاث مصادر لمياه الري عرضاً :- هي "ترعة رمانة ويطلق عليها أهالي القرية "الطريحة " تقع شرق القرية ، أما وسط القرية فيوجد "المشروع " وهو غالباً يستخدم للصرف وأحياناً يستخدمه الأهالي للري. أما الجهة الغربية فتوجد "الترعة" وبشكل عام تُعد هذه الترع مصادر لري الأراضي الزراعية ومصبات للصرف الصحي ، تحديداً للمنازل الواقعة بجوارها خاصة في مناطق الوسط والغرب.

-وبالرغم من أن معظم الطرق المؤدية إلى قرية "الخور" طرق ترابية ، فان هذا لا يحول دون انتقال أبنائها يوميا إلى القري المجاورة أو إلى مدينة أشمون سواء للتعليم أو العمل أو شراء بعض مستلزماتهم ، كما لا يحول دون الانتقال إلى القاهرة ، حيث أماكن العمل ، ويمكن الوصول إلى القرية بالعديد من وسائل المواصلات فمنها طريق السكة الحديدية من القاهرة إلى أشمون حيث تقع أقرب محطة للقطار عند قرية "بوهة شطانوف" المجاورة والتي لا تبلغ المسافة بينها وبين قرية الخور كيلومتر واحد . ويُعد القطار أهم وسيلة للانتقال بالنسبة للطلبة أو الأهالي إلى مدينة أشمون...كما يمكن الوصول إلى القرية عن طريق السيارات الأجرة سواء كانت "سيارات عامة" أو سيارة خاصة يستأجرها الفرد لحسابه الخاص .. كما كان هناك وسيلة أخرى وهو أتوبيس النقل العام "القاهرة / أشمون" والعكس . وكانت هذه هي الوسيلة المفضلة لدى الأهالي نظراً لان الأتوبيس كان يصل إلى مدخل القرية من الناحية الشرقية .

ولكن توقف هذا الأتوبيس نظراً لأن الطريق الذي كان يسير عليه غير مرصوف وضيق في بعض أجزاءه هذا فضلاً على الأخرى أنه – الطريق – كان يُصاب بالغرق عند زيادة منسوب المياه في "ترعة رمانة" الملاصقة للطريق. أو كان يصاب أيضا بالغرق عندما كان يقوم الأهالي بري الزراعات وأثناء سقوط الأمطار في فصل الشتاء وبالتالي فكثيراً ما كان يتعطل الأتوبيس بسبب سوء الطريق. (انظر ملحق الخرائط)

الخصائص السكانية :-

يبلغ عدد سكان القرية حوالي 8 آلاف نسمة طبقاً لتعداد 1996 ، وحالياً حوالي 12 ألف نسمة وكانت الهجرة الخارجية أحد العوامل المؤثرة في الخصائص السكانية والاقتصادية في القرية ويذكر الاخباريون أن هذه الهجرة بدأت – منذ بداية السبعينات تقريباً – بالمتعلمين والعمال الزراعيين الأجراء ، كما تبين أن المهاجرين هم – عادة – من الشريحة التي تقع في فئات السن ما بين (30 – 50عاماً) إلا أنه مع بداية التسعينات بدأت عملية الهجرة في التراجع . خاصة الهجرة الخارجية ، ولكن نشطت الهجرة الداخلية تحديداً بعد قانون العلاقة بين المالك والمستأجر الخاصة بالأراضي الزراعية بعد أن ترك الفلاحين الإجراء الأراضي للملاك وهاجر الكثير خاصة من فئة الشباب للعمل في المدن الكبرى مثل "القاهرة" تحديداً في الموسكي – وغيرها وغني عن البيان أن هذه الهجرة بنوعيها خلقت لدى الأفراد المهاجرين وأسرهم تطلعات نحو العديد من الأنماط الاستهلاكية الجديدة في المأكل والملبس وبناء المساكن وحيازة الأرض – أو تأجير الأرض لأسرهم مرة ثانية ولكن بأسعار عالية الثمن من المُلاك – هذا فضلاً على شراء الأجهزة الكهربائية الحديثة وتطلعات باستكمال تعليم الإناث إلى التعليم الجامعي واعتبار ذلك حقاً من حقوقها الشرعية.

–أما بالنسبة لتوزيع السكان حسب الحالة التعليمية ، تؤكد بيانات بحث النسق القيمي في الريف المصري [18] الذي اجري عام 1998 في قرية "الخور" اتجاه نسبة الأمية في القرية إلى الانخفاض من 84.5 % في تعداد 1976 إلى 64% في تعداد 1986 ، واستمر الانخفاض حتى وصل إلى 46.2% في عام 1996 وكانت هذه النسبة لدى الذكور 70.3 % ، 49.8 ، 46.2 % على التوالي ، أما الإناث فكانت (97.7 % ، 82.4 % ، 63.5 %) على التوالي أيضا ...ومن المتغيرات الجديرة بالملاحظة تزايد أعداد الفتيات في المراحل التعليمية خاصة بين اسر الطبقة الوسطي والعليا حيث زاد الاهتمام – كما أشرنا – بتعليم المرأة ، وعلى الرغم من حداثة الاهتمام بتعليم الفتاه في القرية واستكمالها لمراحل التعليم الجامعي . إلا انه مازوال هناك بعض الأسر تحجم عن التحاق الفتاة بالتعليم الجامعي خاصة من بين أبناء الطبقات الدنيا والبعض من الطبقة الوسطي.

والجدير بالذكر أن التعليم قد أثر بشكل ملفت للنظر على تغير اتجاه الفتاه القروية خاصة فيما يتعلق بكل من عملية الاختيار للزواج وقيمة العمل ، فتعليم الفتاه من أهم مؤشرات القوة والمكانة والقدرة على اتخاذ القرار خاصة فيما يتعلق بالاختيار الزواجي ، إذ انه أضفى على الفتاه مكانة داخل أسرتها لا تحظي بها غيرها من غير المتعلمات ، وبات ينظر إليها على أنها تتمتع بمقومات العقل والتفكير الذي يجعلها تمتلك القرار . في حين أن الموروث الثقافي مازال يقف حائلاً أمام تقدم المرأة في كثير من المواقف الاجتماعية لإعلاء قيم الذكورة على قيم الأنوثة.

---

(18) أنعام عبد الجواد ، النسق القيمي في الريف المصري ، قيم الإنتاج والاستهلاك : دراسة ميدانية في قرية مصرية ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، 1998 ، ص111 – 113.

الخصائص الاقتصادية للقرية :-

تشير البيانات التي أجريت على القرية عام 1998 بحث النسق القيمي إلى وجود انخفاض ملحوظ في نسبة المشتغلين في مهنة الزراعة ، فبعد أن كانت نسبتهم حوالي 93.1 % من قوة العمل الفعلية طبقاً لتعداد 1976 ، أصبحت تبلغ 96.9 % في تعداد 1986 ثم انخفضت إلى 46.9 حسب البحث السابق ذكره ، وتتوزع باقي قوة العمل الفعلية على المهن الأخرى (الأعمال الحرفية ، المشروعات الاستثمارية – عمال خدمات – موظفين –....الخ) ويتركز غالبية الحائزين من أبناء القرية (ونسبتهم 57.7 %) من فئة الحيازة اقل من فدان يليهم من يحوزون من 1–3 فدان بنسبة 38.2 % ، وقد أفاد الأخباريون أن هناك ثلاثة نظم للإيجار شائعة في القرية : أولها الإيجار القانوني الذي كان سائداً حتى تطبيق القانون رقم (2) لسنة 1993م ، والثاني الإيجار لمدة مؤقتة – لمحصول زراعي واحد – أو لمدة عام ، وأخيراً نظام المشاركة وهو غالباً ما يتم بين كبار الملاك كمؤجرين وصغار الحائزين أو اللاحائزين كمستأجرين ، وأكد بعض الإخباريين أن أغلبية الحيازة في القرية للرجال والقليل جداً للنساء الأرامل . وكبار الملاك من النساء المقيمين خارج القرية الذين آلت إليهم الأرض بالميراث الشرعي.

-التركيب المحصولي

يحتل القطن والبرسيم والقمح والذرة المرتبة الأولى في المحاصيل يليها زراعة البطاطس ولكنها في الغالب تقتصر على أصحاب الحيازات الكبيرة من الملاك . وهي تمثل لهم قيمة عالية نظراً لارتفاع تكلفتها الفعلية من تقاوي منتقاة وكيماويات ورعاية ...الخ . ولكنها تعتبر من المحاصيل ذات العائد المادي المرتفع. والذي اصبح يسعي إليه صغار الملاك أو المستأجرين ولكن بالمشاركة مع أحد الكبار من أصحاب الحيازات الكبيرة

الدراسة الميدانية

الرجل والمرأة بين الموروث الثقافي و المنظور الديني

تمهيد :

أولاً : صورة المرأة في الموروث الثقافي

-مفهوم الذكورة والأنوثة.

-المرأة وصفات (الوّز – النّم – الحسد).

-المرأة والشرف.

ثانياً : صورة المرأة في النص الديني

-النساء ناقصات عقل ودين.

-المرأة فتنة.

-كيد المرأة.

-دونية المرأة.

-المرأة شيطان.

-اللامساواة بين الجنسين في الحقوق.

الرجل والمرأة بين الموروث الثقافي والمنظور الديني

تمهيد :

لقد لعب الموروث الثقافي دوراً هاماً في تكوين النظرة النوعية – بين الجنسين– هذا فضلاً على أننا لا يمكن أن نغفل الجانب الديني أيضاً في تكوين هذه النظرة ..

وهذا الفصل يوضح الرؤية لكلا النوعين (رجل / امرأة) من خلال المنظور الثقافي والديني . على انهما من الأبعاد الهامة التي كونت الرؤية تجاه الآخر – خاصة رؤية الرجل للمرأة – وللتعرف على هذه الرؤية – رؤية الرجل للمرأة – كان لابد من تحقيق فهم متكامل لصورة كل منهما في

المجتمع ، فقد حدد المجتمع للمرأة صورتها لذاتها فارتضتها بل واستدمجتها وباتت تدافع عبر الأجيال المختلفة عنها. فصور لها أن قوتها تكمن في جمالها وقدرتها على الإنجاب .

كما حدد المجتمع صورة المرأة لدى الرجل من خلال منظومة ثقافية واجتماعية بالإضافة إلى الدين الذي يلعب دوراً أساسيا في تكوين صورة المرأة.

ونعرض هنا لصورة المرأة المصرية والتي رسمها المجتمع من خلال التعرض لصورتها في كل من : الموروث الثقافي و المنظور الديني.

أولاً : صورة المرأة في الموروث الثقافي*

لقد لعب الموروث الثقافي دوراً مهماً في تكوين الرؤية تجاه الأخر (رجل / امرأة) بل ويمكن القول بأنه – الموروث الثقافي – في كثير من الأحيان يكون نداً قوياً في مواجهة المرجعية الدينية ويتفوق عليها أحياناً.

ولقد أكدت الدراسات كما سبق الإشارة بأن المنظومة الثقافية السائدة غالباً ما تضف على الوضع المتدني للمرأة قوة وشرعية ، حيث تحمل في طياتها مضموناً يقوم على التمييز والتفرقة بين الإناث والذكور ، مع تفضيل الذكور وتعظيم سلطتهم العائلية والاجتماعية ، في مقابل تبخيس وتحقير وضعية الإناث وتكريس تبعيتهن ، كل ذلك ركائز تقوم عليها ثقافة المجتمع من قيم ومعايير وأعراف وتقاليد ، يتم تفعيلها من خلال نظم وعمليات التنشئة الاجتماعية في الأسرة ، وغيرها من المؤسسات التربوية في المجتمع كمؤسسات التعليم والإعلام ، والمؤسسة الدينية

---

*الموروث الثقافي : يعني الثقافة المتوارثة بالمعنى الواسع لكلمة ثقافة ، والذي يشمل العادات ، والتقاليد ، والأعراف إلى جانب التراث الشفاهي.

-وتؤكد كارن هورني Karen Horney التأثير المتعاظم للثقافة على مفهوم الرجل والمرأة فتذهب إلى حد القول بأن فكرة اعتماد المرأة الشديد على زوجها وإبراز ضعفها ، وأن لا حول لها ولا قوة ، وأنها دائماً تعيش في كنف الذكور ورعايتهم، كل ذلك أساطير من صنع الثقافة وحدها ، أي أنها مكتسبة اجتماعياً وليست فطرية ولا متأصلة في طبيعة المرأة [19] ولكل مجتمع خصوصيته الثقافية في إكساب أعضائه معاييره وقيمة خلال مراحل النمو المختلفة وتحديد ذاتيته الذكورية والأنثوية من خلال الأدوار المحددة لكل من الذكور والإناث ، ومن ثم فهي التي تضع النساء في وضع اللامساواة مع الرجال وتتضح مفاهيم الذكورة والأنوثة منذ الصغر في المجتمع من خلال الرموز والمعاني والألفاظ والإشارات والطقوس المرتبطة بالاحتفال بالمولود ومن خلال الملبس والمظهر العام والألعاب الخاصة بكل الذكور والإناث ، كما ارتبطت مفاهيم الأنوثة لدي الذكور بصفات وخصائص مثل الاحتشام – الخجل – الطاعة – انخفاض الصوت – القيام بالأعمال المنزلية ورعاية الأطفال ، أما الذكورة فتعني الأمانة والصدق والشجاعة والعمل خارج المنزل ، فالذكورة في الثقافة الريفية تعني القوة والسطوة والسيطرة والسيادة ، أما الأنوثة فتعني الضعف والخضوع والاستسلام لسيطرة الرجل ، هذا بالإضافة لنظرة المجتمع الريفي إلى المرأة نظرة تجعلها ادني من الرجل (ويكفي أن نعرف أن أسوا إهانة توجه لرجل في ظل الثقافة الريفية التقليدية هي وصفه بأنه "امرأة".

-مفهوم الذكورة والأنوثة :

تقوم الثقافة الذكورية على مبدأ الإعلاء من شأن الرجل ، وقيم الرجولة تختلف من مجتمع لآخر ولكنها تدور – فيما يتعلق بالمجتمع الريفي – حول

---

(19) سامية الساعتي ، علم اجتماع المرأة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2003 ، ص76

قيمة مهمة هي ضرورة تحمل المسئولية بجميع أشكالها وفي مختلف مواقف الحياة وشتى المجالات العائلية والمجتمعية ، وما يتطلبه هذا الالتزام بسلوكيات تعلي من شأن الرجل في نظر أقرانه وتعبر عن مبادئ أخلاقية واجتماعية يحترمها المجتمع مثل الشهامة والكرم والأمانة وغيرها من معايير الشرف الإيجابية ، التي تؤلف في الوقت نفسه مظاهر القدرة على تحمل المسئولية، ويقوم التنظيم الاجتماعي (الأبوي) على الممارسة الفعلية لتلك المسئولية في مختلف أنشطة الحياة الاجتماعية ، التي تتألف منها النظم والتكوينات الاجتماعية بحيث ترتبط هذه النظم بالذكور أكثر من ارتباطها بالإناث ، على اعتبار أن الذكور أكثر إيجابية وأكثر قدرة على تحمل المسئولية ، وأكثر عقلانية في اتخاذ القرارات وتنفيذها كما ينعكس ذلك في العلاقات والأنشطة داخل الأسرة وخارجها.

ويقول أحد الإخباريين رقم (11) " المفاهيم بالنسبة للرجولة اختلفت .. صورة الرجل الفارس صاحب المروءة والشهامة تكاد تكون اختفت .. الفقه الإسلامي يشجع على مروءة الرجل وأنثوية الأنثى ، ويقول الفقهاء إن مال المرأة من حقها ولا يمسه الرجل ، ومن حق المرأة خادمة وأن يتحقق لها ما تبغي من نفقات ، وللمرأة أنوثتها فقط والعناية بها ، إلا أن المفاهيم اختلفت لأسباب كثيرة : الظروف الاجتماعية والاقتصادية فلا يستطيع الرجل الاستقلال بالإنفاق ، ولابد من مساعدة المرأة وبالتالي تذوي رجولة الرجل .. تعبير القرآن نفسه (الرجال قوامون على النساء بما أنفقوا) الإنفاق في مرحلة متقدمة هو رمز بأن الرجل يتعرض للمشاق في سبيل أن يجعل بيته آمن ومستقر ومرتاح ويجد في المنزل زوجة مرتاحة ويقظة الإحساس بأنه مرتاح ، أما الحاصل الآن إن الاثنين يخرجوا وأحياناًَ ترجع الزوجة بعده .. العالم القديم انتهى ، عالم الأنوثة انتهى ..(والنظرة إلى الرجولة والأنوثة) لا تتغير في الجوهر .. في الظاهر (فقط) ، وأحيانا بعض أمثال شاذة تتغير في

الباطن .. لم يكن يحدث أن تقتل زوجة زوجها يوجد في الإسلام الخلع ... المرأة التي ذهبت إلى الرسول وقال (مش قابلة زوجي) فقال لها (ردّي له بستانه ويطلقك). فيه خلل في مفهوم الأنوثة الآن .. الإسلام في الماضي كان واقعي تماماً ويتمشى مع تقلبات النفس .. كما التقوا في سلام ينفضوا في سلام.. إزاي امرأة تجمع بين أكثر من زوج .. فين الأنوثة هنا .. فين المرأة ؟.. الأنوثة في الإحساس بكرامة المرأة مع الرحمة والمحبة في قلب الأنثى .. رقة وعذوبة .. وإحساس الأنثى أصبح مختل.

ويقول الإخباري رقم (5) " الست ممكن ترفع جوزها بالمسايسة ، ولو بصّت لغيره تضيّع بيتها ، وربنا سبحانه وتعالى قال (إن كيدهن عظيم) ولكن المعاملة هي اللي (تفرمل). وهناك واجبات تلزم بها المرأة ، زي : أي كلمة يقولها الراجل ماتخالفوش واللي يقول عليه مايتعملش لازم تسمع كلامه ، والراجل اللي يعتبر زوجته مشكلة بالنسبة له يصبح إنسان خطر ، اصل حواء طلعت آدم من الجنة لكن يجب عدم ظلم المرأة لأن جايز آدم هو السبب ، ورب العباد لعب دور فى كرمه . والست الرزينة الثابتة زوجها يعطيها الثقة وتستطيع بذلك أن تنشئ جيل طيب وذلك بعكس الست الهوائية فهي غير ثابتة و(تخوف) ، والراجل له نظرة في الست ودائماً تطلع صحيحة. الست لازم في البيت تكون وضع وفى الشارع وضع وتعامل كل واحد على طبعه عشان تكسب ود الناس بس باحترام والأنوثة تتحس ما تتوصفش ، والجاذبية الرباني تبص للواحد تبقى عايز تآكلها .. شياكة وجمال الروح والطبع الهادي .. كلها أمور متعلقة بالأنوثة ، والست ما هي إلا ترجمة الأنوثة في شكلها وطبعها .. ولا يمكن وصف الرجل بأنه (حلو) إلا من حيث طباعه وأخلاقه وتصرفاته .. والست الكاملة (لا تكذب) ، لأن الست لو كذبت خلاص مفيش فيها فايدة وممكن نعمل أي حاجة . والكذب

بداية الخيانة ، وحتى لو كذبت عشان تحل مشكلة ده برضه خطر. والست الكاملة تظهر تصرفاتها فى الشارع بالذات ، وهذه التصرفات تكشف عما إذا كانت طالعة من بيت أصول ولا عاوزة تلفت النظر وخلاص.. والزي الإسلامي محتشم وإن كنا نقول عن المرأة اللي تلبسه أنها زي الغفَر لو طلعت على الواحد تُخضه ، بس ده الأفضل لأنه يردع أصحاب النفوس الضعيفة من الرجال.

والرجولة تتطلب من الرجل أن يكون له كيان خاصة في بيته ووسط عياله وزوجته وطالما في بيته تمام ومالي بيته وكل المتطلبات وفي الوقت نفسه حاشمهم يبقى صحيح راجل .. ويجب ألا يضرب الراجل زوجته لأن لازم يبقى بين الراجل ومراته احترام ، والكلام باللسان أفضل حتى العيال تطلع تحترم أهلها. بس فيه ستات عوجين مايجوش غير بالضرب ، واللي يقدر يحكم في بيته باللسان والنظرة مش حايحتاج للضرب لأن الست ممكن تطفش من القسوة عليها .. وكلمة الرجولة تتمثل في الموقف من ارتكاب الخطأ والرجوع عنه والاعتراف به .. وده لن يقلل أبدأ من كرامته بعكس الاستمرار في الخطأ والخطيئة والتمسك بيهم".

ويذكر الحالة رقم (1) "الراجل ربنا خلقه لتحمل الأعباء والدفاع عن شرف أسرته أعطاه قوة لهذا الأساس .. المرأة معروفة بأنها جنس ناعم هي أم ومدرسة وهاتفرخ الجيل اللي جاي وظيفة المرأة كده دي اتخلقت ربة أسرة. صحيح إن أحياناً الظروف تخلّي المرأة تقوم بدور الراجل حين يتوفى زوجها مثلاً ، ودي يبقى لها ثواب عند ربنا .. تركت التستيت والتنعيم ، يعني ما خُلقت له ، وخرجت تكافح وتربي بشرف وترعى أولادها . والظروف الحالية بتخلّي المرأة تخرج وتعمل .. المرتبات القليلة تخلّي الشاب اللي ماهيته 50 أو 60 جنيه يبحث عن اللي زيه ويعيشوا بعد كده تحت الصفر ، حايعملوا

إيه . هي عايزه تفتح بيت يبقى لازم تساعد وده يرفع من قيمتها وإن كان يفقدها جزء من أنوثتها بكل تأكيد ... إنما في البيت لازم تظهر كأنثى تاخد حقها وتعطي للراجل حقه ، وبره تبقى راجل وإلا تبقى كارثة .. ما يجعل الراجل راجل هي المواقف . يبقى شايف التزاماته ووراه مسئولية ويؤدي ما يمكن ان يؤديه . مفيش أنانية عنده .. لو فيه باطل وحق يختار الحق ولو اثر الاختيار عليه وأنا من طفولتي بأقعد جنب والدي كراجل مش كطفل ومن 11 أو 12 بأشتغل".

وتقول زوجة الحالة الاولى " شخصية الراجل قبل كل شئ ومش حا أقولك زي الناس ما بتقول إن اللي يعيب الراجل جيبه لأنه ممكن يكون الراجل غني ويتعب الست ما يرحهاش. إنما أنا أنصح بالزواج من واحد سُنّي لأنهم بيبقوا مؤمنين وبيحترموا زوجاتهم فالرجل بشخصيته وأخلاقه .. والست طبعاً بأخلاقها إنما الجمال مطلوب وخير الامور الوسط وهناك حديث عن الرسول بقول (تنكح المرأة لأربع لجمالها ونسبها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) ، لأن الست أقل حاجة تعيبها ، ومش عيب إن الراجل يتزوج الست الغنية ، إنما المهم إنه ما يطمعش في مالها ، والرسول عليه الصلاة والسلام تزوج السيدة خديجة وكانت هي غنية وهو فقير وكانت أكبر منه بعشرين سنة وتزوج السيدة عائشة وكان عمرها تسع سنوات والسيدة عائشة جاء فستان فرحها وبطاقتها (قسيمة الزواج) من الجنة لأنها بنت الصديق ، ومن أخذ واحدة من أجل غناها (مالها) أمر الله بفقره ومن أخذ واحدة من أجل نسبها أمر الله بذله (إذلاله)".

ويقول الحالة رقم (3) " المرأة ممكن تؤثر على زوجها لو شاءت سواء بالحسن او السيئ ولو تزوج هو بفأرة هاتُجُره إلى جحرها ، ولو كانت المرأة عاقلة ومتفهمة جيداً لنقاط الضعف في زوجها ممكن تحوله للأحسن بسهولة

.. والزوجة أيضاً تستطيع أن تغير من طباع زوجها وليس من سلوكياته فقط ... والزوجة هي كل شئ بالنسبة للرجل ، فإن صلحت فإنه يواجه الحياة دون قلق".

ويسترد الإخباري رقم (9) الحديث بقوله " المرأة وظيفتها في نظري التربية لأن عليها مسئولية جيل بحاله .. المرأة دائماً تشغل نفسها بالتزين ، طبعاً لأنه لو لم تتزين ما سمى منها حسن ، ولكن أنا في نظري إن تزين المرأة في اللفظ ، لما يبقى عندها منطق كويس ورد كويس .. ده منتهى الجمال . جمال المرأة أيضاً في عملها .. ما يهم في المرأة هو التزين الأصلي لها ، وهو الخلق. فالجوهر هام جداً في الحكم على المرأة .. أكثر من المظهر .. المرأة هي النعمة التي أعطاها الله للإنسان ومنها الجنة ومنها النار".

ويمكن القول بأن الثقافة الذكورية والتنظيمات الاجتماعية الأبوية تشترك في إعطاء أولوية تكاد تكون مطلقة للذكر مع تهميش دور المرأة وعدم الاعتداد به أو على الأقل التهوين من شأنه وفاعليته في حياة المجتمع.

ويتم تنشئة أعضاء المجتمع منذ البداية ومنذ سنوات الطفولة المبكرة على تقبل هذه التفرقة والعمل بمقتضاها إذ يعتبر عنصر التقبل عاملاً مهماً في ترسيخ قيم الذكورة والمبادئ التي تقوم عليها هذه القيم. ويوضح الموروث الثقافي بعض الأقوال التي يستشهد بها في مواقف معينة حين يستلزم الأمر ذلك. والمفروض أن هذه الأقوال صدرت أصلاً عن إحدى السيدات وتمثل مشاعرها إزاء الحمل والولادة وإنجاب الذكر والأنثى فتقول لما قالوا ده ولد انشد ضهري واتسند ، لما قالوا دي بنت أتهد سقف البيت علىّ.

فنجد منذ البداية النظرة المتحيزة للذكر حتى من الأم إزاء أولادها ، وذلك لأن الذكر في المجتمع الأبوي وفي الثقافة الذكورية – هو الذي يحمل اسم العائلة ويحافظ بالتالي على وجودها واستمرارها ، وذلك على العكس من الأنثى التي

سوف تنتقل في آخر الأمر بالزواج إلى عائلة أخرى لكي يحمل أبناؤها اسم تلك العائلة ، أي أن القوى الإنجابية للأنثى تصبح من نصيب عائلة الزوج بينما تحرم منها عائلتها العاصبة ، إلا إذا تزوجت من أحد أقاربها العاصبين مثل ابن العم ، لذلك نجد أن قيمة الإنجاب تحل مكانة عالية في مواصفات اختيار الزوجة ، وإن المرأة الولود وخاصة للذكور تحتل مكانة اجتماعية مرتفعة داخل عائلة زوجها فالمثل يقول " ما تبان البضاعة إلا بعد الحمل والرضاعة" ويترتب على الثقافة الذكورية والتنظيم الأبوي للمجتمع المصري التراخي في الاعتناء بالأنثى وإعدادها للحياة خارج نطاق الأسرة وتأهيلها للقيام بوظائف معينة داخل هذا النطاق المحدد ، وبما يتلاءم مع تكوينها البيولوجي والفسيولوجي ، وذلك بعكس الحال بالنسبة للذكر الذي تهتم العائلة بأمور تنشئته بما يتفق مع المسئوليات التي سوف يضطلع بها في المستقبل ، والتي تتناول جوانب عديدة من الحياة تحتاج إلى القدرة على التعامل معها بطريقة عقلانية واعية. وهذا معناه أنه في الوقت الذي تهتم أساليب التنشئة فيه بإعداد الذكر منذ سن مبكرة نسبياً للحياة الواسعة المضطربة خارج نطاق الجماعة القرابية، تركز هذه الأساليب على إعداد الأنثى للحياة الضيقة المحددة بحدود تلك الجماعة العائلية.

ويأخذ هذان الأسلوبان في التنشئة في الاعتبار الفوارق والقوى الذهنية والميول الطبيعية التي يفترض المجتمع التقليدي (الريفي) وجودها بين الذكر والأنثى والاعتقاد بأن الذكر أكثر عقلانية في نظرته إلى الحياة ومعالجته للأمور ، بينما الأنثى أكثر عاطفية وخضوعاً لمشاعرها الوجدانية.

لقد أفرزت الثقافة العديد من الصفات التي يمكن أن تتحلى بها المرأة ، فمنها الإيجابية وأخرى السلبية ، ولكن تختلف هذه النظرة باختلاف موقع المرأة القرابي بالنسبة للرجل كونها (أم / أخت / أبنه / زوجة) ، فدائماً ما

توصف الأم بأنها " الحنون – الصدر الحنين – ست الدار – ست الكل – الحاجة الكبيرة ....." وعادة مل يكون لها المكانة العليا في البيت خاصة على النساء اللاتي يعشن معها – داخل الأسرة الممتدة – بل ويكون لها قدسية يصعب المساس بها ، أما الأبنة فهي عادة ما تكون " دلوعة أبوها – ست أخواتها – ستهم .... خاصة إذا كانت ابنة واحدة على مجموعة من الذكور .

أما في حالة الأخت مغادة ما تتصف بالايجابية في حالة طاعتها لأوامر أخواتها الذكور وعدم مطالبتها الشرعية – كالميراث – فهي تكون الودّادة – الطيبة – حبيبة أهلها – اللي بتخاف على أهلها من الهواء الطاير ، اللى ما بتحملش تسمع عنهم كلمة وحشه .....)

أما في حالة مطالبتها بحقوقها المشروعة – كالميراث – يطلق عليها " الحرباية – العقربة – وعادة ما يصفونها بالتمرد من صغرها وعدم حُبها لهم ...الخ.

وفي هذه الحالة كثيراً ما تتصف بالصفات السلبية من قبل الرجل (الأهل)

أما في حالة كونها – زوجة – ففي كثير من الأحيان ما تتصف بالصفات السلبية ويرجع ذلك لعلاقتها بأهل الزوج ، فإذا كانت العلاقات ليست على ما يُرام – مزاج – أهل الزوج وحدث هناك انفصال في المعيشة بين الأخوة – عِزله – فكل ذلك ينسب إلى إلي المرأة –الزوجة – وأن السبب الأساسي وراء ذلك الدمار هي الزوجة (المرأة) – حتى وان كانت ليس لها أي دور في ذلك – وهنا دائماً ما تشير إليها أصابع الاتهام وتتصف ببعض الصفات السلبية مثل "غراب البيت – البومة – الأفعى – خرابة البيوت – أو يقال عنها – الزوجة عاملة ذي العقرب تقرص وتهرب ، أو الحرباية تتلون 100 لون ، أو يقولوا عنها "قدمها قدم الشين ،.....الخ أو توصف بأنها "وزازة – وهى

السبب في خراب البيت ويقال أنها ما سكن ودن – اذن – زوجها ليل ونهار وهي وراء كل المشكلات الموجودة في البيت ، أو يقال أنها "حَسّاده" وعينها مِدورة بتحسد – وهى اللي حسدت فلان أو علان وانها دائماً تتكلم عن فلان وتنم على علان . أي أن معظم الصفات السلبية تنسب إلى الزوجة في المقام الأول . وقد تم اختيار هذه الصفات السلبية "الوز – النم – الحسد" حيث أنها تعتبر من الصفات الأكثر انتشاراً في مجتمع الدراسة .

وهنا يمكن القول بأن المرأة والرجل ما هما إلا وجهان لعمله واحدة – هي الإنسان ولكن لكل وجهه منهما ما يميزها عن الآخر .. وذلك من منظور تراثنا الثقافي المتوارث عبر الأجيال . والذي وضع بعض المعايير أو الملامح التي يمكن من خلالها التميز بين الذكورة والأنوثة ، وان اختلفت هذه المعايير – نسبياً – من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر.

فالذكورة تعني القدرة على الأنفاق والشهامة والشجاعة وقوة الشخصية والغيرة على الأهل والسمعة الطيبة والرجاحة في العقل والقلة في الكلام والاتزان في القول وعدم البخل والقدرة على إشباع الزوجة عاطفياً.

أما الأنوثة : فهي تعنى الجمال والرشاقة والجاذبية والروح المرحة وطيبة القلب والوداعة والإشباع العاطفي والسكن للرجل .

المرأة وصفات (الوّز – النّم – الحسد)

وهناك بعض الصفات السلبية تتصف بها المرأة وهي "الوّز والنم" حيث يقول الحالةرقم (4) "أن المرأة طوالي توز الراجل على أخوه وأمه لأن الشيطان دائماً بين حواجبها ، وتفضل تزن على دماغ جوزها زي المكنة المفسودة تطأطأ على العّمال والبطّال وعلى رأي المثل " العرق يمد لسابع جد" وستنا حوا طلعت آدم من الجنة بسبب الوز والنم على دماغه ، وهذه صفة تفضل مع الست لغاية لما تموت "

ويضيف أخباري أخر رقم (7) فيقول " الست عاملة زي النعجة الأواءه (الرغاية) مش بتبطل كلام حتى ولو كانت لوحدها في البيت تفضل تظنظن بأي كلام علشان تعمل لها "جس" ممكن تغني أو تندب حسب مزاجها – ولما تجلس مع جارتها مش ممكن يبطلوا كلام في سيرة الناس ، والست في النم عاملة ذي الشريط بتاع التسجيل مش بيخلص اللى تقوله تعيده ، أما موضوع الوز "فكل مصيبة في البيت بين الأخوة أو حتى بين الراجل وأولاده تكون بسبب "وّز" الزوجة عليهم يطلق عليها خرابة البيوت ، أصلهم ناقصين عقل ودين".

–كذلك هناك ارتباط قوي في الثقافة الريفية بين الحسد والمرأة ، وبالرغم من أن الحسد موجود في القرآن الكريم إلا أن المرأة تحسد اكثر من الرجل ويقول الإخباري رقم (9)

(الحريم مش بتسمي (بسم الله الرحمن الرحيم) ومش بتكبر (الله اكبر) لما بتشوف حاجة كويسة مش عندها ، لأنهم دائماً بيكونوا مش طاهرين وفيهم نجاسة (بسبب الدورة الشهرية) وفي أيضاً رجالة عينها وحشه وعينها تفلق الحجر ، لكن دائماً الخوف من الستات علشان طوالي بتبص للحاجة اللي في إيد غيرها وتشتهي زوالها من عندها سواء أولاد أو حيوانات أو ملابس أو غير ذلك ...الخ لأن الستات عندها غيره أكثر من الرجال، يعني الست دائماً عينها فارغة).

المرأة والشرف :

إن قيمة العرض والمحافظة على الشرف هي التي تتحكم فى كثير من أساليب سلوك الناس وعاداتهم المتبعة في معاملة كل من الذكر والأنثى ولذا بينما يتوقع المجتمع أن يقوم الذكر بالأعمال والمهام والأنشطة التي تجلب (الشرف) للجماعة القرابية التي ينتمي إليها ، يحرص هذا المجتمع

نفسه على تجنيب الأنثى من أن تجلب (العار) على جماعتها القرابية ، بخضوعها واستجابتها لعواطفها ونزعاتها الطبيعية وبخاصة النزعات الجنسية وهنا تبرز المفارقة واضحة بين موقفين : إذ بينما تحتل الأنثى مكانة ثانوية بل وهامشية بالنسبة للذكر فيما يتعلق بنظرة المجتمع إلى الجنسين والتفضيل بينهما ، فإن سمعة الجماعة القرابية تتوقف على سلوك الأنثى ومراعاتها للمبادئ الأخلاقية أكثر مما تتوقف على سلوك الذكر ، فالأنثى رغم مكانتها الثانوية الهامشية هي (عرض) الجماعة القرابية، فالعرض مرتبط ارتباطاً قوياً بسلوك الأنثى وبخاصة سلوكها الجنسي ، بينما الشرف يرتبط بالقيم الذكورية وبسلوك الذكر وإنجازاته وقد يفقد الذكر "شرفه" نتيجة لسلوكه غير السوي ، ثم يسترد ذلك الشرف ومعه مكانته في المجتمع إذا حسن سيرته وتوقف عن التصرفات التي تسئ إليه وإلى عائلته أي أن الشرف يمكن استرداده بعد فقدانه ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للعرض فهو قابل للضياع والفقدان ولكنه غير قابل للاسترداد ، ولذا فإن جانبا كبيراً من الجهود التي تبذل في تنشئة الأنثى منذ الصغر توجه إلى هذه الناحية بشكل مستتر وغير صريح لأن الحديث الصريح عن الجنس يعتبر من المحرمات "تابو" التي يصعب الاقتراب منها ، وإذا كانت إساءة السلوك من الرجل تلقى في كثير من الأحيان قدراً كبيراً من الفهم والتعاطف ومحاولات التبرير والإصلاح فإن إساءة السلوك من الفتاة أو المرأة لا تجد مثل هذه التعاطف بل وقد يعاقب عليها بالقتل من جماعتها القرابية. وتعزز تلك النظرة القوانين الرسمية التي تميز بين الرجل والمرأة في جريمة الخيانة الزوجية ، فالرجل لا يحاسب والمرأة تعاقب على جريمتها كما سيتضح فيما بعد.

من اجل هذا كانت تربية وتنشئة الأنثى منذ الصغر تهتم بإعدادها للزواج لأنه الوسيلة الفعالة والمأمونة للمحافظة على عرضها وعرض العائلة

ووقايتها من الانحراف ، وإحدى صيغ الدعاء التي تنتشر في المجتمع الريفي هي " الله يستر عرضك" "يسترك ربنا" "ماتنفضحيش" كلها عبارات متعلقة بسلوك الأنثى ، فالزواج إلى جانب أنه ستره للبنت فهو يزيح عن كاهل الأسرة عبئاً اقتصادياً واجتماعياً وهو تتويج لجهد بذل من أجل إعداد الفتاة وتأهيلها لدور الزوجة وربة البيت. وتخص الكثير من الأمثلة الفتاة على الإقدام على الزواج بصرف النظر عن رأيها في الزوج ومدى تقبلها أو رضاها عنه ، وبصرف النظر أيضاً عن وجود أي تكافؤ بينهما وهنا تردد الكثير من الأمثلة التي تحمل هذا المضمون مثل "ضل راجل ولا ضل حيطه"...الخ

والواقع أن النظرة الذكورية المتعلقة بكيان الجماعة العاصبة والتي تنظر باستعلاء إلى الأنثى تمتد إلى أهل المرأة أو أهل الزوجة ، رغم علاقات المصاهرة التي قد تكون موضع اعتزاز في الوقت نفسه. فكل ما هو طيب ورفيع وشريف يأتي من جانب الأقارب العاصبين للأب بينما كل ما هو سيئ ومصدر للخجل والعار يأتي من جانب أهل الأم أو الزوجة ، فالولد الفالح "طالع لأبوه" أما الولد الطالح فيكون "طالع لخاله" ، أي أن النظرة الدونية إزاء المرأة تمتد إلى أهلها ، وإذا فسدت الأنثى فإن ذلك لا يرجع إلى عيب في عائلتها الأبوية بقدر ما يرجع إلى الأم فالمثل يقول " أكفي القدرة على فمها البنت طالعة لأمها " ، وقد تدفع الأم الثمن لأنها لم تحسن تربية ابنتها فهي المسئولة عن بناتها وعن سلوكهم منذ البداية وحتى بعد الزواج ، فالمثل يقول " أم البنات شايلة الهم للممات".

كذلك فإن الثقافة الذكورية تنظر للمرأة على أنها "عورة" يجب سترها بالزواج ، والذي يعتبر كل ما يتعلق بالأنثى مصدراً للخجل حتى في أبسط الأمور المتعلقة بحياتها ، كما هو الحال مثلاً بالنسبة لختان الذكور وختان الأنثى في المجتمع الريفي الذي مازال يمارس هذه العادة ، فختان الذكر مجال للتعبير

عن الفرح والابتهاج وإقامة الولائم لأن الطفل الذكر يدخل إلى مرحلة جديدة من الحياة تؤهله للرجولة بعكس ختان الأنثى الذي يتم دائماً
في السر دون إعلان ، كما لو كان الأمر مدعاة للخجل . فرغم أن العملية الجراحية واحدة في الحالتين ، إلا أن لهما معنيين اجتماعيين مختلفين ، فختان الذكر مرحلة لتأهيله للرجولة على ما ذكرنا بينما ختان الأنثى يهدف إلى الحد من نزعاتها الجنسية التي قد تؤدي إلى السلوك الشائن الذي يجلب العار على العائلة.

فالثقافة السائدة لا تعترف بدور للفتاة إلا بدورها كزوجة وربة بيت ، وهي أن سمحت لها بالتعليم والعمل فهذا من أجل تحسين فرصها في الزواج ، وعلى ألا يتعارض هذا مع دورها الأساس في خدمة الزوج ورعاية الأبناء ، وتظل الفتاة موضع رثاء من المجتمع أن تأخر بها سن الزوج ، أو أنها لم تتزوج قط ، أو تزوجت ولم تنجب ، أو تزوجت وأنجبت إناثاً فقط أو طلقت ، أو ترملت ، بصرف النظر عما تكون قد حصلت عليه المرأة أو الفتاة من درجات علمية ، أو ما حققته من مكانه مهنية ، أي أن مكانة المرأة في المجتمع خاصة المجتمع الريفي لا تتحقق إلا من خلال الرجل في ظل نظام الأسرة والزواج. [20].

–ورغم التغيرات التي طرأت على أوضاع المرأة في المجتمع المصري ، فإن طبيعة العلاقة التي تحكم المرأة بالرجل داخل الأسرة الريفية لازالت تحكمها بقايا علاقات العبودية التي تأسست تاريخياً مع نشأة الملكية الخاصة وسيطرة الحضارة الذكورية في ظل سيادة النظام الأبوي الذي أعطى السلطة المطلقة للرجل وفرض على المرأة الخضوع بالقوة. وهذا وقد ظلت معظم القوانين التي تحكم نظام الأسرة تدعم الفكرة القائمة على أن المرأة والأبناء هم امتداد طبيعي لملكية الرجل ، وبناء عليه فقد ترك القانون للرجل حرية التعامل معهم كيفما

---

(20) علياء شكري ، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع ، دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي ، القاهرة ،مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2003 ، ص50 .

يشاء دون تدخل أو محاسبة ، على اعتبار أن هذه الأمور تعد شأناً من شئون الأسرة لذلك فإننا نجد أنه في الوقت الذي أعطى فيه المجتمع بقوانينه وثقافته السائدة الحق للرجل في السيطرة على المرأة أسرياً وجنسياً واجتماعياً ، كرس لديها الشعور بالتسامح تجاه كثير من الأفعال غير المقبولة من الرجل والتعامل معها باعتبارها سلوكاً طبيعياً وصحياً.

وتشير ليلى عبد الوهاب من دراستها حول العنف الاسرى ان الرجل فى المراحل الاولى لنشأة الأسرة الأبوية كان الملك يقتل عبده ، كما كان يملك أيضا قتل اطفاله دون مساءلة أو محاسبة فالنساء والأطفال الذين يملكهم الأب كانوا يسمون بالعبيد ، ويستشهد العلماء على ذلك بان كلمة Family في اصلها اللاتيني قد اشتقت من كلمة familia ومعناها عدد العبيد الذين يملكهم رجل واحد . [21]

وفى واقع الأمر فإن تفسير حالة الخضوع بل التسامح التي تتعامل بها المرأة مع مختلف صور الاضطهاد والقهر الذي تتعرض له في المجتمع والأسرة ، يمكن إرجاعها إلى شيوع حالة من الاغتراب لدى المرأة تجعلها تعلى من شأن ومكانة ورغبات قاهرها على حساب وجودها الذاتي والموضوعي.

وإذا انتقلنا إلى مسألة مشاركة المرأة في اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة وإن كان هذا يحدث نسبياً فهو يحدث في سرية وتكتم شديدين من قبل الزوج حيث يسود الاعتقاد بأن استشارة الزوج للزوجة عند اتخاذ القرارات ينتقص من رجولة الزوج ، فمفهوم الرجولة السائد في ثقافة المجتمع خاصة بين أبناء الريف يرتبط بقدرة الرجل على السيطرة على المرأة وإخضاعها جنسياً واجتماعياً وعائلياً وسياسياً ومن الأمثلة الدالة على ذلك المثل القائل " شوروهم وخالفوهم " ، وهذا إمعاناً في رغبة الرجل في التسلط ، كذلك المثل القائل "شورة المرأة إن صحت تأخر سنة ، وإن خابت

---

(21) ليلي عبد الوهاب ، العنف الأسري ، بيروت ، دار المدى للثقافة والنشر ، 2000 ، ص21 .

تأخر العمر كله ". ويقول الحالة رقم (4) (الراجل العاقل يشاور صاحبه ، ولا يشاور مراته ويستشهد بالمثل ويقول " من شاور صديقه فلح ومن شاور مراته تاه وانشرخ" والمقصود أن شورة الصديق – الرجل– بعقل متزن ومضبوط – لكن شورة المرة لو فلحت حتبقى طين علشان كل شوية تقول شورتي اللي فلحت – أو شوف شورتي عملت إيه وتبقى كسر رقبة للرجل. يعني علشان الراجل يسمع كلام مراته مرة واحدة ولو فلحت تكسر رقبته طول العمر ... يبقى الراجل يجيب لنفسه وجع الدماغ ليه بناقص شورتها من الأول). واضح أن صورة المرأة في الموروث الثقافي – بالمعنى الواسع للكلمة الذي يشمل التراث الثقافي الشفاهي والعادات والتقاليد والنظم المتعلقة بالمرأة – صورة مركبة ومعقدة إلى حد كبير ولا تخلو من التناقضات ، وإذا كانت هناك جوانب سلبية يحب الناس الرجوع إليها والاستشهاد بها في كثير من المواقف ، فإن هناك جوانب أخرى تكشف عن قيم إيجابية تعطي المرأة ما تستحقه من احترام وتقدير نظراً للخصائص والمقومات الأساسية في شخصيتها الاجتماعية وللأدوار المؤثرة التي تقوم بها في الحياة. ولكن غالباً ما تجد الرجل يستحصر السلبيات وفقاً لأهوائه الشخصية ومصالحه ويتناسى الإيجابيات فهو يلعب بالتراث كيفما يشاء.

وقد أدى تراكم الجوانب السلبية في الموروثات ، وفى التعامل مع المرأة على صعيد الواقع اليومي بالمرأة في الأغلب إلى أن تأخذ هذه الأوضاع والمواقف على أنها أمور مسلم بها ، وأنها تعكس حقيقة المكانة التي يجب أن تشغلها ، لأنها هي المكانة التي تستحقها وهذه النظرة سلبية بل انهزامية من المرأة نفسها من شأنها الإعتراف بالأمر الواقع على أنه هو الأمر الطبيعي أو حتى المثالي وأنه ليس ثمة ما يدعو إلى التغيير ، والدليل على ذلك هو موقف المرأة الريفية من حركات تحرير المرأة وما أقرته المواثيق الدولية من المناداة بالحقوق والمساواة بالرجل فهي تقف حجرة عثرة أمام هذه المتغيرات والمستجدات العالمية وتربط

فساد المجتمع بهذه التغيرات وتطالب بالعودة إلى الماضي والتمسك بالموروثات التي تحدد صورة كل من الرجل والمرأة.

فالمجتمع الريفي التقليدي يقف إذن من الأنثى منذ ولادتها موقفاً فيه كثير من التحيز ضدها ومحاباة الذكر على حسابها وهذا الموقف هو المسئول إلى حد كبير عن الفجوة الاجتماعية الواسعة التي تفصل الآن – ورغم كل ما حدث من تغيرات – بين الرجل والمرأة من حيث المشاركة الإيجابية في حياة المجتمع وانتشار بعض الأفكار والآراء المعادية أو على الأقل المناوئة لإتاحة الفرصة كاملة أمام المرأة في المشاركة في المجالات التي لا تزال تكاد تكون مغلقة على الرجل.

إلا أن الجوانب السلبية يقابلها في واقع الأمر جوانب أخرى أكثر إيجابية مما يكشف مدى تعقد الموقف والنظرة إزاء المرأة فهي الابنة /الأخت/الأم/الزوجة.

فالأنثى غير المرغوب فيها بالمقارنة مع الذكر هي آخر الأمر (حبيبة أبوها) وبخاصة حين تتقدم به السن وينصرف الأبناء الذكور بالزواج إلى تكوين عائلات خاصة بهم فالبنات خير وبركة للأسرة والمثل يقول " اللي يسعدها زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها" لأن الابنة سند الأم في الشدائد وفي قضاء الأعمال المنزلية.

ويمكن تفسير هذه المواقف السلبية تجاه المرأة فهي في آخر الأمر محصلة طبيعية ومنطقية لعصور طويلة من سيطرة الثقافة (الذكورية) – إن صح التعبير– التي صاغها الرجل ووضع أسسها ودعائمها فالتنظيمات الاجتماعية الغالبة على معظم –إن لم يكن كل – المجتمعات الإنسانية المعاصرة والتاريخية تنظيمات ذكورية تضع السلطة في أيدي الرجال بينما تميل إلى تهميش دور المرأة والتهوين من شأنها.

ويتفق رأينا هذا مع ما جاء في كتاب "الجنس الثاني" لسيمون دي بوفوار (1949) الذي يعالج مفهوم المرأة – كما تشكله الثقافة باعتبارها آخر –

وهي التي أرست دعائم معظم الأعمال النظرية التي ظهرت في السبعينات ، فكان مما كتبته أن " المرأة لا تولد امرأة" بل تصبح امرأة ، فليس ثمة قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقضي بتحديد شخصية المرء كأنثى في المجتمع ، ولكن الحضارة في مجملها هي التي تصنع هذا المخلوق الذي يقف في موقع متوسط بين الذكر والخصى ويوصف بأنه مؤنث. وتقول سيمون دي بوفوار إن فئة الآخر جوهرية في صوغ الذات الإنسانية بكاملها ، لأن إحساسنا بالذات لا يمكن أن يتكون إلا في مقابل شئ آخر غير الذات لكن الرجال يستولون على فئة الذات ، أو الفاعل ويجعلونها حكراً عليهم ، وينزلون المرأة منزلة الآخر إلى الأبد ومن ثم فإن فئة "المرأة" ليس لها وجود حقيقي وإنما هي مجرد إسقاط لخيالات الذكر ومخاوفه.

ولكن نظراً لأن كل التمثيل الثقافي للعالم المتاح لنا حالياً – سواء في صورة الأسطورة أو الدين أو الأدب أو الثقافة الشعبية – من عمل الرجل ، فقد تشربت المرأة هذه التعريفات وتعلمت أن " تحلم من أحلام الرجل " بل أن "المرأة الحقيقية " مطالبة بأن تقبل أنها "آخر" بالنسبة إلى الرجل ، ويفرض عليها أن "تجعل من نفسها مفعولاً .. وان تنبذ استقلالها الذاتي [22].

ثانياً : صورة المرأة من المنظور الديني :

تعتبر المرجعية الدينية هي إحدى الميكانزمات التي يمكن من خلالها التعرف على صورة المرأة ، .. أي انه عند طرح قضية المرأة للدراسة والتحليل يستدعي التعرض لصورتها في المنظور الديني ، وذلك لأنه لا يمكن الكشف عن صورة المرأة ولا عن الأرضية التي تشكلت فوقها هذه الرؤية ولا عن مكوناتها الأساسية إلا انطلاقاً من قراءة ذلك النص و التعرف على صورتها من خلاله ، لأن كل المشاكل والقضايا المرتبطة بالمرأة لا يمكن مناقشتها

---

(22) سو ثورنام ، النسوية والسينما في النسوية وما بعد النسوية ، ترجمة احمد الشامي ، ط1 ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة 2002 ، ص ص 145 : 161 .

والفصل فيها دون استحضار المنظور الديني ، باعتباره منظوراً رسم لها صورة ذات معالم محددة.

ولهذا جاء استعراض المنظور الديني لاستقراء الصورة ، التي عبّر عنها والتي أثّر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تكوين صورة المرأة لدى الرجل ، ويرجع الأهمية في ذلك للتعرف على الأساس المكون لشخصية الرجل ، من أجل الفهم العميق لرؤيته إزاء المرأة والكشف عن الإطار المرجعي لهذه الرؤية. فلهذا السبب يمكن القول أن إغفال الخلفية الدينية التي تتحكم في السلوك وتضبطه ستؤدي إلى عدم فهم الواقع ، ولا يمكن أن نؤسس تفسيراً مقنعاً لصورة المرأة ، دون أن نربطها بالإطار المرجعي الذي تأسست في إطاره وضمنه تلك الصورة.

–والجدير بالذكر أن أول ما يثير الانتباه بعد تفحص النصوص الدينية المرتبطة بصورة المرأة هو ذلك الازدواج الذي يطبع النظرة الدينية في تشكيلها لتلك الصورة ورسمها لملامحها العامة.

فمثلاً في مجال الزواج نجد نصوصاً تحثنا على الزواج وأخرى تبعدنا عنه. حيث يقول تعالى "ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية" سورة الرعد آية (39) فمن أهم الفوائد التي يصبو الزواج إلى تحقيقها هي : التدين ، الإنجاب ، الإحصان، وهي فوائد تؤسس الأرضية التي توضع عليها الصورة الواجب توفرها في المرأة . ونقول "الواجب توفرها" لأن الإسلام يلح في نصوص متعددة على أن تتصف المرأة بها ، لكون التدين يتطلب منها طاعة الزوج ، والإنجاب يفرض عليها الحمل لاستمرار الجنس البشري ، والإحصان يستلزم منها الوفاء والاستقامة ، وإشباع كل رغباتها ورغبات زوجها. ومن ثم فإن الحكم على صلاح المرأة أو فسادها ناتج عن مدى احترامها للمبادئ السابقة الذكر. وفي نص أخر يقول تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ

وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" سورة التغابن أية (14 : 15) ، كذلك نلاحظ أن هناك تبايناً في الرؤية الإسلامية عند تناولها لموضوع المرأة ، فنجد أن الإسلام قد عبر عن قضاياه وقناعاته من خلال ثنائيات كثيرة ، وبالتالي فهو يقدمها لنا دائماً في صورتين متناقضتين فمثلاً : الصالحة ، الطالحة ، المستقيمة / الخائنة ، الولود ، العاقر / الطائعة ، العاصية....ولقد حّدد لكل صورة صفات جسدية وخلقية يمكن للرجل الاستعانة بها للتمييز بين الصورة الصالحة والطالحة.

–كما يستمد من الدين بعض المعاني والتي تستخدم بهدف التحقير من شأن المرأة والتأكيد على دونيتها ، حيث يسود في ثقافة الأفراد من مختلف الطبقات في المجتمع اعتقاد بأن "المرأة عورة" ، والمرأة خلقت من ضلع أعوج ، النساء ناقصات عقل ودين ، الرجال قوامون على النساء ، وبالرغم من وجود كثير من الأحاديث والآيات التي تعلي من شأن المرأة وتسوي بينها وبين الرجل في شتي المجالات بما فيها مجال الولاية والحكم مثل النساء شقائق الرجال ، والمرأة راعية ومسئولة . ومع هذا فلا نجد قبولاً أو رواجاً لمثل هذه الأحاديث في الثقافة السائدة ، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى المنهج والأسلوب الانتقائي التجزيئي ، الذي يتم به استبعاد كل ما من شأنه أن يحقق المساواة بين المرأة والرجل ، ويرفع من شأنها في المجتمع ، ويدفع بها إلى التحرر والاستقلال والمشاركة الفعالة في بناء المجتمع وتقدمه.

ولا يقف استخدام هذا المنهج على الأحاديث والروايات ، بل ينصرف إلى القرآن الكريم حيث يذهب أصحاب التيار السلفي المتزمت إلى الانتقاء من الأحاديث والقرآن بما يتناسب مع مواقفهم الرجعية ومصالحهم الاجتماعية

والسياسية ، ويذهب هؤلاء في سبيل تحقيق هذا إلى اجتزاء الآيات وإضفاء معان عليها لكي تخدم تلك المصالح من ناحية ، وتكرس من ناحية أخرى الثقافية الذكورية التي تمثل في التحليل النهائي ، جزءاً هاماً من الأيديولوجية الحاكمة التي تدعم نمط السلطة الأبوية والعلاقات والقيم الطبقية في المجتمع وتقف مؤسسة الأسرة على رأس المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بإعادة إنتاج تلك القيم والعلاقات من خلال عمليتين أساسيتين هما عملية التقسيم الجنسي للعمل وعملية التنشئة الاجتماعية القائمة على أساليب تربوية مؤسسة على نظام السلطة الأبوي.

ونعرض فيما يأتي لبعض الصفات التي ربطها أفراد المجتمع بالمرأة من المنظور الديني.

النساء ناقصات عقل ودين : يختلف الرجال عن النساء في العقل والتفكير ، فللرجال القدرة على التفكير من حيث قوة التدليل والمنطق والارتباط بالواقع وتقدير العواقب ، أما العقل الأنثوي أو تفكير المرأة يتسم بالتلقائية أو العاطفية والميل إلى التعميم أو التفصيل.

فالعقل الأنثوي أو تفكير المرأة يقفز إلى النتائج بسرعة دون ترتيب أو تدبير للمقدمات أو العواقب ، كما أنه (بالضرورة) عقل ناقص يتفق مع تركيبها الفيزيقي والعضلي ، وهو تركيب أقل تطوراً ونضوجاً وقوة من جسم الرجل وتكوينه الفيزيقي ، مادامت المرأة قد خلقت في الأصل من جزء من جسم الرجل وعلى التخصيص من "ضلع أعوج". فالرأي الشائع إذن هو أن " النساء ناقصات عقل ودين" ومن هنا لم يكن للرجل أن يستشير المرأة أو أن يأخذ برأيها وإلا كان في ذلك دماره. أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول أحد رجال الدين بالقرية "خالفوا النساء فان في خلافهن البركة" و أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " تَعِس عبد الزوجة" على اعتبار أن طاعة

الرجل لزوجته تجعل منه عبداً فضلاً عن مخالفته لما جاء من قوله تعالى "الرجال قوامون على النساء" . ويستشهد في ذلك على ما يقوله الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين (الجزء الثاني : كتاب النكاح) "الغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل" (صفحة 45). وهذه كلها وغيرها أقوال يستشهد بها بعض الناس في أحاديثهم اليومية ، لدرجة أنه في الأحوال التي يبدي فيها (الشخص) شيئاً من الإعجاب بعقل المرأة وقدراتها وإمكاناتها فانه لا يلبث أن يضع التحفظات على ما يقول فعلى سبيل المثال يقول الحالة رقم (5):

"الست وجوزها ... مش عضلات الراجل هي إللّي تخوف الست لأن دي عليها عقل يجنن مليون راجل ... بس مخه يعرف إزاي يشكلها ويخليها عجينة فى ايده ... ويا سلام لما الراجل يبقى عاقل ... يكسب الدنيا كلتها ومايخسرش منها حاجة ... ومسافة ما الراجل يسلم عقله .. مش قلبه – للست ... خلاص .. ياالله السلامة مابقاش راجل ... وعقل الست برضه زينة ... تبقى حاجة تشرّف ، لأن الست العاقلة نادر وجودها ... ما هم مخلوقين من ضلع أعوج".

وهذا كله يجد له تلخيصاً في القول الشائع "شاورهم وخالفوهم " وهو قول تردد على ألسنة عدد كبير من الإخباريين الذين أجريت عليهم الدراسة.

المرأة فتنة : إن المتفحص للنصوص الدينية سيلاحظ أن الإسلام قد ربط بين الفتنة ومجموعة من المفاهيم كالعورة ، الرؤية ، الخروج ، المال ، والأولاد ، والشهوات .....وغيرها من المفاهيم التي تتمحور حول مجال الفتنة لتشكل نسيجاً مركباً تتداخل فيه عناصر متعددة. فكل ما يؤدي إلى الفتنة وجب الاحتراس منه ، لأنه يمثل العدو اللدود الذي يسعي إلى إخراج الإنسان عن طاعة ربه. ولذلك حذر النص الديني من المرأة والأبناء "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم " سورة التغابن أية (14) وبالرغم من أن النص لا يعمم العداوة على كل الزوجات ، والأولاد لكونه قد تضمن حرف "من" إلا أن صفتها

واردة ، أي حاضرة ، ومن ثم وجب ردع سلوك بعض النساء الفاسقات ، وبعض الأولاد الذين خرجوا عن الصراط المستقيم.

-كذلك يرتبط مفهوم العورة بفتنة المرأة حيث جاء في صحيح مسلم "للمرأة عشر عورات ، فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة ، فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات " ولا شك أن هذا الحديث يتضمن معني باطنياً وآخر ظاهرياً . ونعتقد أن الباطن يعبر عن قوة شهوات المرأة وتعددها وبخاصة ما يرتبط منها بالمجال الجنسى ، أما المعني الظاهري فان كلمة "عورة" تعكسه بكل أمانة وما دام الأمر كذلك ، فان خروج المرأة ورؤيتها من لدن الرجل يثير لدية مجموعة من الرغبات التي قد تسقطه في ارتكاب الفواحش ، ويعبر النص الديني عن ذلك بوضوح المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان " واستحوذ على فعلها وقولها ، مما قد يؤدي إلى خروجها عن احصانها. ويقول الأخباري رقم (9) لجسم المرأة يعتبر "عورة" يجب أن تحرص المرأة على ستره والمحافظة عليه وصورة المرأة من الوجهة الدينية أنها عورة لأنها تسيل لعاب الرجل ... والمرأة فى طبيعة صوتها الخلاعة والليونة ، ولذلك أكد الله على نساء النبي قائلاً " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض ، والمقصود بخضوع القول هنا هو الصوت الناعم الذي يثير الرجال وشهواتهم".

كيد المرأة : ترتبط صفة الكيد بصفات الإغراء والكذب والنفاق . لكونها تحمل مضامين تعبر عن مكر المرأة وكيدها . وسنكتفي للتدليل على ذلك كما يقول الأخباري (5) بالآية (28) التي تضمنها سورة يوسف ، حيث قوله تعالى " فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ " فالصيغة التعميمية التي عبر عنها النص تحمل دلالات كبيرة ، مما دفع بالرجل إلى الاحتراس من المرأة وفرصة القيود عليها ومراقبتها باستمرار.

ولا شك أن خطورة المرأة تكمن في كونها قد تشبع رغباتها باتباعها كل السبل ، فقد تنافق، وتناور وتكذب وتتبكي وتتظاهر بالضعف والمسكنة لتحقيق هدفها . ونعتقد أن التصاق صفة الكيد بالمرأة هو الذي أدي إلى خوف الرجل منها.

والمثل الشعبي يؤكد ذلك "كيد النساء غلب كيد الرجال" ، يقول الحالة رقم (1) (الستات عندهم دهاء ومكر ، ونلاحظ أن الراجل مهما يكون شديد على الزوجة وناوي يغدر بيها ويضربها ، أول ما تشوف العين الحمرا من الراجل تقابله بالضحك والمياصه ، تخلي الراجل ينزل على الفاضي ... يعني الست تمتاز عن الراجل بالمكر وهي عاملة زي الحرباية بتتلون مائة لون في اليوم حسب الموقف اللي هي فيه)

ويستكمل الحديث الأخباري رقم (4) "الرجل يشك في أفعال المرأة ولا يصدق أقوالها في معظم الأحيان. ونعتقد أيضا أن تثبيت ذلك الخوف وتأصيلة في شخصية الرجل راجع بالأساس إلى الصورة التي رسمها النص الديني للمرأة ، حيث أكد في مواضع شتي على قدرتها القوية على إسقاط أشد الرجال إيماناً وأكثرهم علماً في ارتكاب الفواحش "ما رأيت من ناقصات عقل ودين اغلب لذوي الألباب منكن" (الغزالي ، ص 109) فالبرغم من أن مضمون النص قد يحيلنا إلى الاعتراف بأن الشهوة لها تأثير كبير في سلوك الرجل ، فان ذلك لن يعفينا من القول بأن باعث تلك الشهوة وموقدها الأساسي هو المرأة ، لكونها تمثل المجال الواجب توفره لإشباع رغبات الرجل . وبما أن حضورها ضروري ، وجب ضبط أفعالها والاحتياط منها".

دونية المرأة : لا يوجد نص ديني يثبت دونية المرأة مباشرة ، ولكن هناك كثير من المعاني والدلالات توضح هذه الصفة مثل القوامة ، الدرجة ، الشهادة وغيرها من المناحي التي يمتاز فيها الرجل عن المرأة ولذلك تستخرج دونية المرأة وتبعيتها للرجل من خلال بعض النصوص الدينية التي تشيء المرأة ، أي تمثلها

بشيء يمكن امتلاكه كالأرض والخيل والأنعام والذهب والفضة وغيرها من الأشياء التي تباع وتشتري. مثل قوله تعالى" نساؤكم حرث لكم" سورة البقرة آية (223) ، فالمرأة محل زرع الولد ، أي أن المرأة تملك كما تملك الأرض وتنتج كما تنتج وتحرث وكما تحرث ، فهي خاضعة لفعل الرجل واختياراته وممارساته المختلفة ، فالقرآن الكريم يكرر فى أكثر من آية وصف المرأة بأنها (حرث) للرجل وفي ذلك اشارة الى الفرق بين المكانة العليا للرجل ومكانة المرأة الدنيا.

والمثال الثاني : ينطلق من الآية الكريمة "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا "سورة آل عمران آية (14)

فهذه الآية يحدد فيها النص الديني المواضيع التي تثير شهوة الرجل ، والذي يهمنا لا ينحصر في التشبيه الموجود بين المرأة ومختلف الأشياء الواردة في النص ، بل يتعلق بالجملة الأخيرة وهي "ذلك متاع الحياة الدنيا" لكونها جملة تعبر بكل وضوح عن تشيء المرأة ، وعن اعتبارها متاعاً وزينة مثلها مثل الذهب والفضة والخيل...أي أنها في نهاية التحليل ملك من أملاك الرجل ومتاع له " وفي حديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم يقول "أن الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"

–فالنص الديني قد رسم صورة للمرأة حيث يعتبرها تابعة للرجل خاضعة له ، وهذا بالطبع ما يفصح عن دونيتها.

المرأة شيطان : لا شك أن صفة الشيطان تشبه إلى حد كبير صفات الفتنة والكيد والمتاع ، ويمكننا أن نعتمد منذ البداية على الحديث التالي لإبراز التشابه الذي يقره النص الديني بين المرأة والشيطان "إن المرأة تقبل في صورة شيطان ، وتدبر في صورة شيطان ، فإذا أبصر أحدكم امرأة ، فيأت أهله فان ذلك يرد ما في نفسه " صحيح مسلم

ولا ينبغي أن نفهم من هذا النص أن التماثل بين المرأة والشيطان يشمل الجانب الجسمي ، باعتبار أن الشيطان غائب عن أعيننا وعن مجال بصرنا ، ولذلك فإننا نتصوره كرمز للشر والإغواء والكيد بل أن التشابه بينهما يمس جانب الفعل أكثر من جانب الجسد ، وتمكن أفعال الشيطان فى كثير من آيات القرآن الكريم والتي نلاحظ منها أنها تسم الشيطان بمجموعة من السمات التي يمكن تحديدها في : العصيان ، الإغواء ، الوسواس لارتكاب الشر بكل الطرق المكتوبة كالكذب والنفاق ولذلك وجب الاحتراس من المرأة لكونها تشبه إلى حد كبير الشيطان في صفاته التي تكون صورتها وتتحكم في فعلها وقولها. ويمكننا أن ندرك العلاقة بين الشيطان والمرأة من خلال آيات سورة الأعراف "18–19"

قال تعالى " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ "

–فمن خلال ما تضمنه هذا النص يمكننا أن نسجل بأن الوسواس ناتج عن الإغراء الذي مارسه الشيطان على آدم وحواء. فيقول أحد الإخباريين من رجال الدين بالقرية رقم (9) "وقوع آدم (فوق) حواء عند خروجهم من الجنة كان بمثابة الرمز على الاستعلاء الاجتماعي للرجل على المرأة في الحياة اليومية ، بل أن لفظ (وقوع) آدم (فوق) حواء يجد له تعبيراً في المصطلحات التي كان يستخدمها رجال الدين والمتفقهين أثناء الحديث معهم ، حيث يربط هؤلاء بين السيطرة الفيزيقية الفعلية للرجل على المرأة أثناء العلاقة الزوجية ، ويمز بالتالي إلى (استسلام) الأنثى للذكر ، إذ تلعب المرأة في هذا الوضع دوراً سلبياً إلى حد كبير وتكون بمثابة (المتلقي) لما يأتيها من الرجل. ويذكر أيضاً أحد الإخباريين رقم (10) من الطبقة الدنيا في المجتمع أنه يحمد الله أنه لم يخلق امرأة "لان نومتها

تحسر" حيث يرى في رقاد المرأة على ظهرها مع وقوع الرجل عليها أمر يثير الأسى والحسرة".

والراجح في المجتمع وفي أقوال الناس أن حواء هي التي أخرجت آدم من الجنة ، وأنها تتمثل في صورة الشيطان ، حيث يربط الناس بين فعل الشر والمرأة التي تدبر وتوظف كل ما لديها من إمكانيات للوصول إلى أهدافها.

حيث تؤول كل المشكلات الأسرية إلى فعل المرأة وما دبرته من مكيدة ووسوسة في عقل زوجها للوصول إلى هدفها في وقوع الشر أو خلافة مع أسرته. فدائماً ما نسمع "هي وسوست لك " أو شكلها رأي الشيطان.

اللامساواة بين الجنسين في الحقوق : لا شك أن الإسلام قد ساوي بين المرأة والرجل في كل الجوانب التي ترتبط بوحدة الأصل، والإيمان ، والجزاء والعقاب على الفعل وفي التكريم أيضا ، إلا أنه ميز بينهما في جوانب أخرى يمكن تحديها في أربعة : القوامة – الشهادة – الإرث – الطلاق. وهي جوانب تناولها الإسلام بنظرة ذكورية واضحة تعكس تفضيله الرجل على المرأة ، ويكفينا أن نقرأ الآية " الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ "(سورة النساء: الآية 34) ، فماذا يعني بالقوامة ، هل هي قوامة جسدية هل هي قوامة "بيولوجية" أم نفسية "سيكولوجية" أم اجتماعية أم اقتصادية ، والقوامة واردة وحاضرة بتزكية من الله تعالى فهو يؤكدها بقوله لمفهوم "الدرجة" حيث يقول" وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ "(سورة البقرة : الآية 228) وما يبرر عملياً تأييد الإسلام لقوامة الرجل وسمو درجته يكمن في الأفضلية التي يمنحها للذكر على الأنثى في مناح ثلاثة هي : الشهادة ، الإرث ، الطلاق.

فبالرغم من اختلاف الشهادة عن الإرث ، فان الإسلام قد تناول الموضوعين معاً بالمنطق ذاته حيث خصص للرجل ضعف ما منحه للمرأة ، مما يترجم عملياً

تفوق الذكر وقوامته ودرجته العالية إذ يقول تعالى في الارث : " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ "(سورة النساء : الآية 11) ثم يقول في الشهادة " وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى " (سورة البقرة : الآية 282) أما بالنسبة للطلاق فانه لا يقبل الدخول ضمن التشابه السابق الذكر ، حيث أن الإسلام يمنح حق الطلاق للرجل ماعدا في حالة إثبات تضرر المرأة في العيش بجانبه أي في حالة النشوز والخلع. ومن ثم فان تدخل المرأة في مصير العلاقة الزوجية التي تربطها بالرجل محدودة للغاية. لكون مصير تلك العلاقة بيد الرجل باعتباره أكثر درجة وقوامة وغيرهما من التأويلات لتبرير حرمان المرأة من هذا الحق ومن غيره من الحقوق.

–تؤثر هذه الأوضاع التي تنعكس على العلاقة بين الجنسين وعلى أنماط السلوك في مكانة المرأة في المجتمع بحيث تظهر على أنها عضو ثانوي بالنسبة للرجل ، وتجد هذه التفرقة في المكانة ترجمة واقعية لها في كثير من النظم الاجتماعية التي قد تحددها التعاليم الدينية مثل التفرقة في توزيع التركة(الميراث) لأسباب تقرها الشريعة ، ولكنها تعتبر في آخر الأمر مظهراً من مظاهر الثقافة الذكورية والتنظيم الأبوي الذي يجعل الرجال قوامين على النساء بما فضل الله بعضهم (الذكور) على بعض (الإناث).

–وكثيراً ما يساء استخدام هذا التنظيم الديني في المجتمع الريفي بحيث تحرم المرأة تماماً من التركة التي تؤول إلى الذكور دون الإناث ، وذلك حتى لا تنتقل الثروة إلى عائلة أخرى هي العائلة التي تزوجت فيها الأنثى وأنجبت لها أبناء عاصبين أو تعويضها بالنقود وان كان لا يمثل حقها الشرعي.

ويمكن القول أن التقاء المنظورين الديني والشعبي في رسمهما لصورة المرأة من منظور النزعة الذكورية ، وما يؤكد رأينا هذا هو اتفاق النصين إلى مستوى

التطابق في استعمال بعض الألفاظ "المرأة ضلع أعوج – عاصية – ماكرة – غيورة ..." وفى تحديد بعض الصفات " الكيد – الغواية – الدونية – الغيرة ...."

مما يعبر عن التقاء المنظورين الديني والشعبي في رسمهما لصورة المرأة وتوضح الخماس فكرتها قائلة : نجد أن النظرة للمرأة "كأنثى" بحكم الحاجة للأنثى وبحكم المفاهيم السائدة والمتوارثة عبر السنين ، تتغلغل في لب السلوك وتغذي معظم التحركات وإن كانت تغلفها قشرة من التقدمية والنظرة الجديدة للمرأة كمساوية للرجل ، فإن تغير رؤية الرجل تجاه المرأة لا يجب أن يفهم من هذا التغيير الحاصل في بعض المواقف أنهم ينتقلون من السلب إلى الإيجاب ، ومن الرفض إلى القبول بشكل سهل وتلقائي بل أن ذلك الانتقال يتم تحت ضغط الواقع وقساوته ويحتاج إلى تضحية جيل أو أجيال لأن زعزعة الأفكار السائدة في ذهنية الرجل عن المرأة ، تتطلب تحولات اجتماعية عميقة فهي أفكار ناتجة عن تراكمات وترسبات تاريخية طويلة تمتد من العصور الأخيرة للجاهلية وما قبلها في بعض الأحيان حتى الوقت الحاضر.

ولكن الإنصاف يدعونا إلى الإشارة إلى الموقف الآخر المقابل والمكمل فى الوقت نفسه لما سبقت الإشارة إليه في الأمثلة السابقة والذي يتمثل فى نظرة الاحترام للمرأة بوجه عام على الرغم من كل الظواهر التي تدل على عكس ذلك. فاحترام المرأة ودورها وأنوثتها هي التي تدفع الرجل – على الأقل في الأمثلة التي أشرنا إليها وغيرها من حالات لا داعي لذكرها إلى تحديد دور المرأة بما يتفق مع طبيعتها البيولوجية وتكوينها الفيزيقي " المرأة في المجتمع المصري كبيرة حتى في العصر القديم احترام المرأة منذ القدم في المعابد المصرية. المرأة أساسية ولها دور بارز في الزراعة وفي كل حاجة.. ومصر هي الدولة الإسلامية الوحيدة الموجودة فيها مسلمة حاكمة (شجرة الدر) منذ زمن بعيد ".

إن الحديث عن مضامين الثقافة السائدة بروافدها المتعددة ، لا ينسينا حقيقة هامة أكدت عليها الكثير من الدراسات والبحوث ، تفيد بأن الثقافة رغم قوة

تأثيرها على قيم ومفاهيم ووعي وسلوك الأفراد نحو مختلف القضايا الاجتماعية ، فإن هذا التأثير لا يمارس سطوته بنفس القوة على مختلف الأفراد في المجتمع ، وإنما يختلف باختلاف أوضاع الناس الاجتماعية والطبقية . فإن تأثير الثقافة السائدة قد يتسع ويقوي ، يقل ويضعف ، وهو في النهاية لا يعتبر ملزماً لجميع الأفراد في مختلف الطبقات الاجتماعية والثقافية.

وأخيراً : فما أثر هذه الصورة في شخصية الذكر عندما يشب ويبلغ مبلغ الرجال ، سوف يؤدي ذلك بالقطع إلى انحراف كيان الرجل كله كفرد وكائن اجتماعي ، وهو شعور يوازي بالضبط شعور الملك أنه أسمى من الآخرين جميعاً لأنه ولد ملكاً. ومن الواضح أن ذلك يؤدي في الحال إلى تضخيم الذات عند الذكور ، ذلك لأن الموجودات البشرية لا تنشأ منذ نعومة أظفارها على امتلاك ميراث لم تكسبه بنفسها دون أن يترك فيها ذلك أثراً سيئاً عندما يجعلها تشعر بالتفاخر الزائف بسبب تقدير المرء لذاته بناء على ميراث عارض لم يكسبه بنفسه ، وليس من صنع يده فكثيراً ما تسمع الذكر يقول دائماً "أنا ولد" وكأنه في مرتبة أعلى من الأنثى يحق له أن يفعل ما يشاء وعلى هذا النحو تتشكل شخصية الرجل المبنية على زهو كاذب وغرور فارغ لا معنى له ، إذا استطاع كبحها مع أنداده من الرجال – لأنه سيلقى منهم مقاومة– فإنها تنفجر في جميع من هم في وضع يرغمهم على تحمله من زوجة في المنزل أو أخت أو أم .....الخ وإن كانت تختلف درجات من يمارس عليهم هذا السلطة ، بل أن الحياة الزوجية بوضعها الحالي تقوم على علاقة تتناقض مع أول مبدأ من مبادئ العدل الاجتماعي ، وهي بهذا السبب تؤدي في الحال إلى انحراف شخصية الرجل أو تشكيل شخصية غير سوية. (23)

والملاحظ أن سيطرة الرجال على النساء ليست سيطرة قوة ، لأن النساء يقبلنها طواعية ، وعن رضا ، وبلا تذمر أو شكوى بل تعتبرنا نوعاً من

---

(23) جون شيتوارت مل ، استعباد النساء ، ترجمة إمام عبد الفتاح القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1998 ، ص28

حب الرجل لها. أضف إلى ذلك أن الرجال لا يريدون أن تكون المرأة المرتبطة بهم مجرد عبد ، بل تراهم يرغبون في أن تكون عبداً بإرادتها ورغبتها وليس بالإكراه ، ومن ثم فقد استخدموا جميع الوسائل لاستبعاد عقول النساء. وهاهنا لعبت التربية وكل مؤسسات التنشئة دوراً بارزاً لتحقيق هذا الغرض ، وهكذا تنشأ المرأة على أن المثل الأعلى لشخصيتها هو النقيض المباشر لشخصية الرجل حتى لا تتشبه بخصال الرجال . فإذا كانت للرجل إرادة حرة ، وقدرة على ضبط النفس ، فإن المرأة ليست لها هذه الخصال ، بل هي تتميز على النقيض بالخضوع والاستسلام والطاعة لأوامر الرجل وسيطرته فجميع القواعد المقررة في المجتمع الأخلاقية والاجتماعية والتربوية تؤكد لها أن واجب النساء بل وطبيعتهن أن يعشن للآخرين ، وأن ينكرن أنفسهن إنكاراً تاماً ، وأن تتجه عواطفهن نحو الرجال الذين يرتبطن بهم ، أو نحو الأطفال. ومعنى ذلك كله أن العادات والتقاليد والعرف لعبت الدور الأساسي في تشكيل شخصية الرجل وحددت الوضع الراهن للمرأة.

وبالتالي فيمكن تحديد أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يلي :

- أوضحت الدراسة الميدانية تدني وضع المرأة في المجتمع الريفي مقارنة بوضع الرجل.
- كشفت الدراسة على أن المرأة هي التي تقوم بغرس وتعزيز قيم الذكورة وقيم الأنوثة.
- نظرة المجتمع إلى المرأة على أنها مخلوق ضعيف وتابع دائماً – للرجل.
- أوضحت الدراسة أن النظرة إلى المرأة لا تختلف باختلاف وضعها الطبقي أو غير ذلك.
- أظهرت الدراسة أن من اهم الصفات التي تتحلى بها المرأة هي "النم – الحسد – الفتنة – الوز – الكيد ...."
- أكدت الدراسة على عدم المساواة بين النوعين (الرجل / المرأة) في الحقوق وهذا يوضح مدى اهتمام المجتمع بالثقافة الذكورية.

لعبت التنشية الاجتماعية دوراً مهما في تكوين صورة الرجل والمرأة.

-

المراجع

1-احمد مجدي حجازي: التنمية البشرية واستراتيجيات التعليم في مصر ، في دراسات مصرية في علم الاجتماع ، القاهرة : مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

2-السيد الاسود : صورة الأخر بين الثبات والتغير : دراسة أنثروبولوجية مقارنة لمجتمعيين عربيين ، مجلة العلوم الاجتماعية عدد 24 ، مجلد 1 ، 1996م.

3-انعام عبد الجواد : النسق القيمي في الريف المصري ، قيم الإنتاج والاستهلاك : دراسة ميدانية في قرية مصرية ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، 1998

4-جوردن مارشال : موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، المجلد الأول ، الثاني ، الثالث ، ط 1 ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000م.

5-جون ستيوارت مل : استبعاد النساء ، ترجمة امام عبد الفتاح ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1998.

6-سامية الساعاتي : علم اجتماع المرأة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2003

7-سامية الساعاتي : دور المرأة في المجتمع المصري الحديث ، القاهرة ، المجلة الاجتماعية القومية ، مجلد 12 ، العددين ، 2 ، 3 ، 1975

8-سو ثورنام : النسوية والسينما في النسوية وما بعد النسوية ، ترجمة أحمد الشامي ، ط 1 ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2002.

9-شارلت سمور – سميث: موسوعة علم الإنسان : المفاهيم والمصطلحات الانثروبولجية ترجمة مجموعة أساتذة علم الاجتماع إشراف محمد الجوهري ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998م.

10–سيد عويس : المفهوم العام للمرأة المصرية المعاصرة ، القاهرة ، المجلة الاجتماعية القومية ، مجلة 12 ، العددين 302 ، 1970

11–علياء شكري : قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع ، دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2003

12–فاروق اسماعيل : الانثروبولوجية الثقافية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1984

13–ليلي عبد الوهاب : العنف الاسري . بيروت ، دار المدى للثقافة والنشر ، 2000

14-محمد الجوهري ، و عبدالله الخريجي : طرق البحث الاجتماعي ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1990.

15–محمد الجوهري وآخرون: دراسات اجتماعية معاصرة ، القاهرة ، ط العمرانية 2006

14–محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية ، 1968

15–محمد احمد غنيم : اتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في الانثروبولوجيا الحفرية في مجالات علم الاجتماع والانثربولوجيا ، المنصورة ، جامعة المنصورة ، 2000

16–محمد الجوهري واخرون: دراسات اجتماعية معاصرة ، القاهرة ، مطبعة العمرانين ، 2006م.